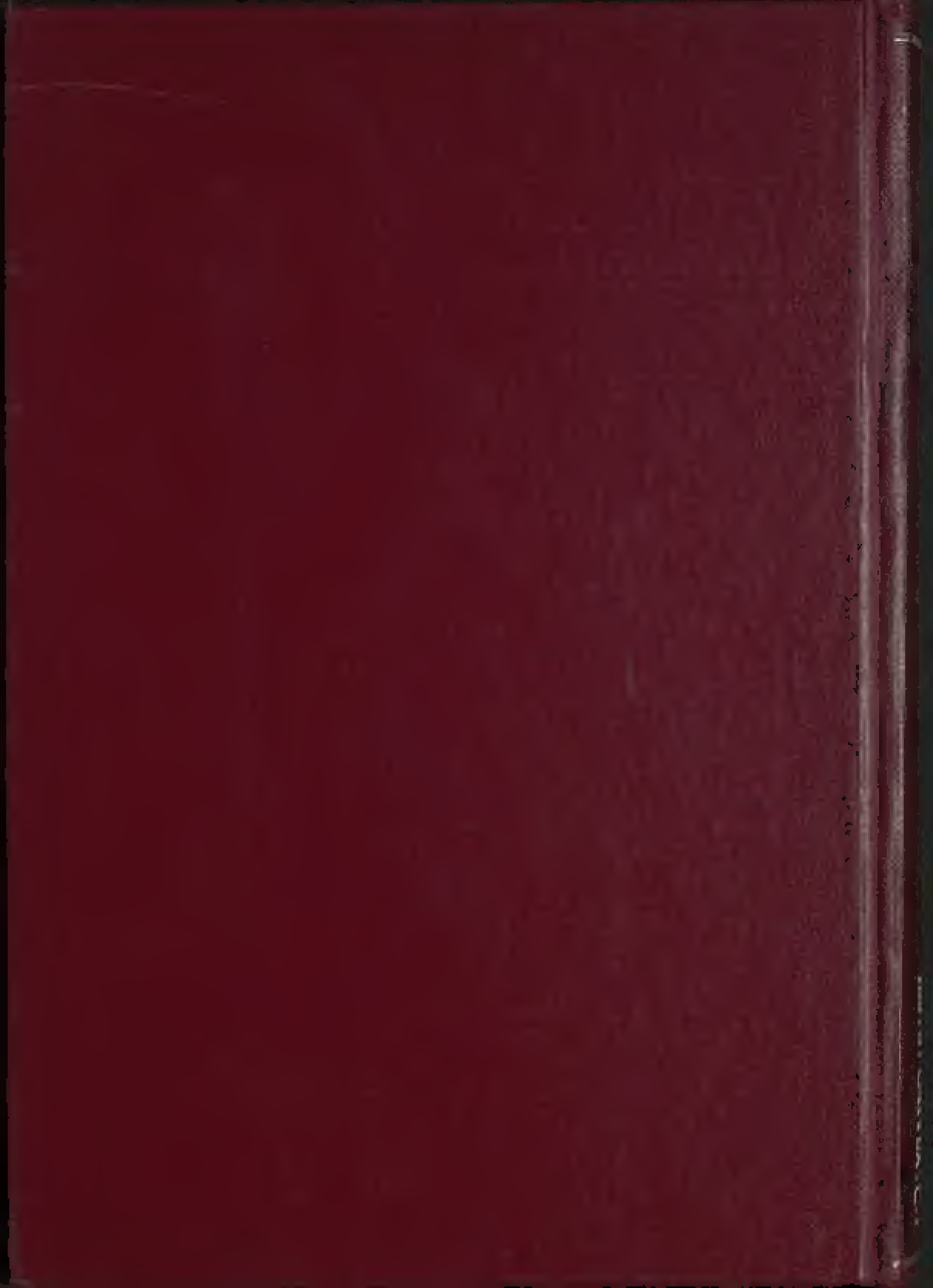
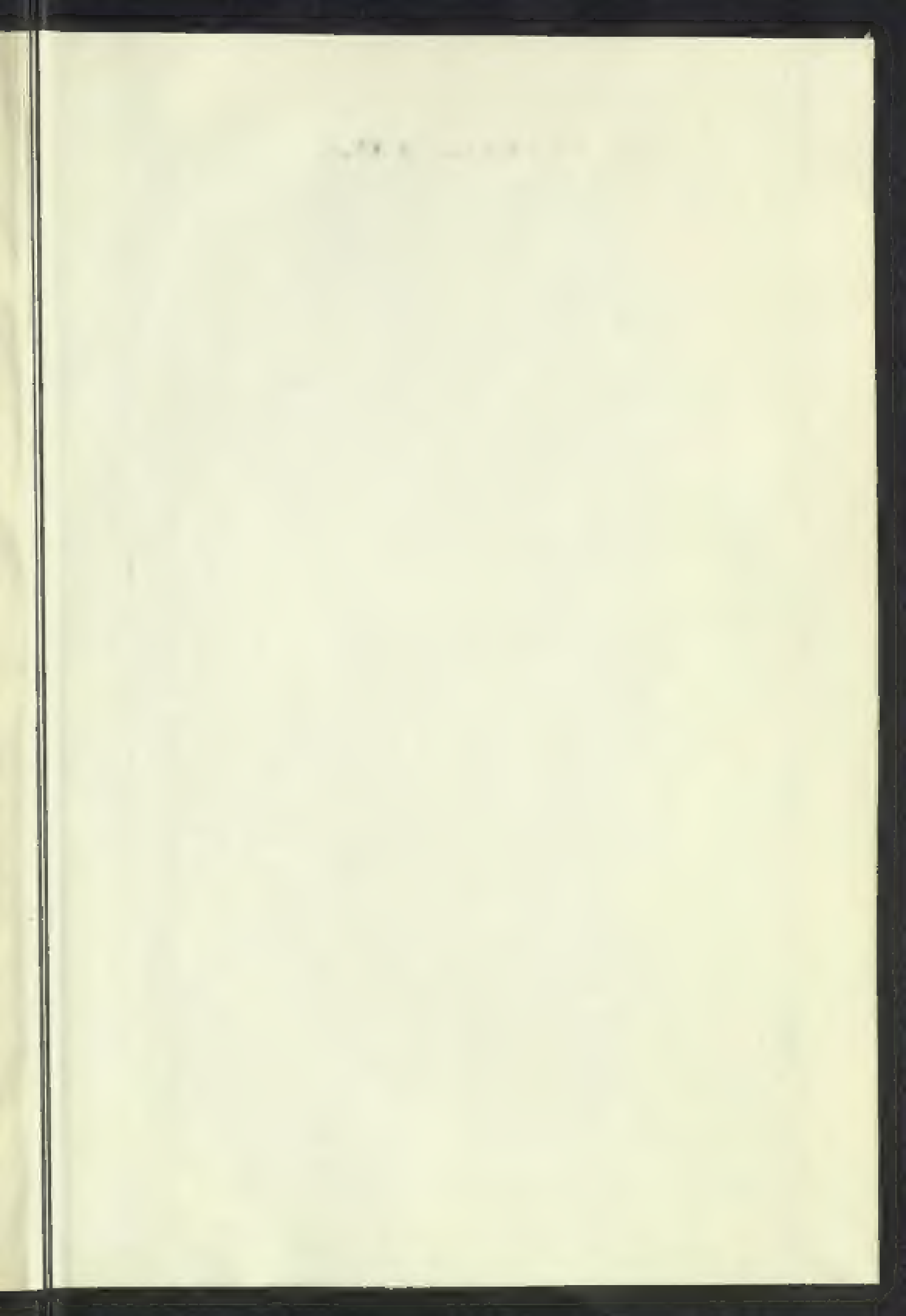
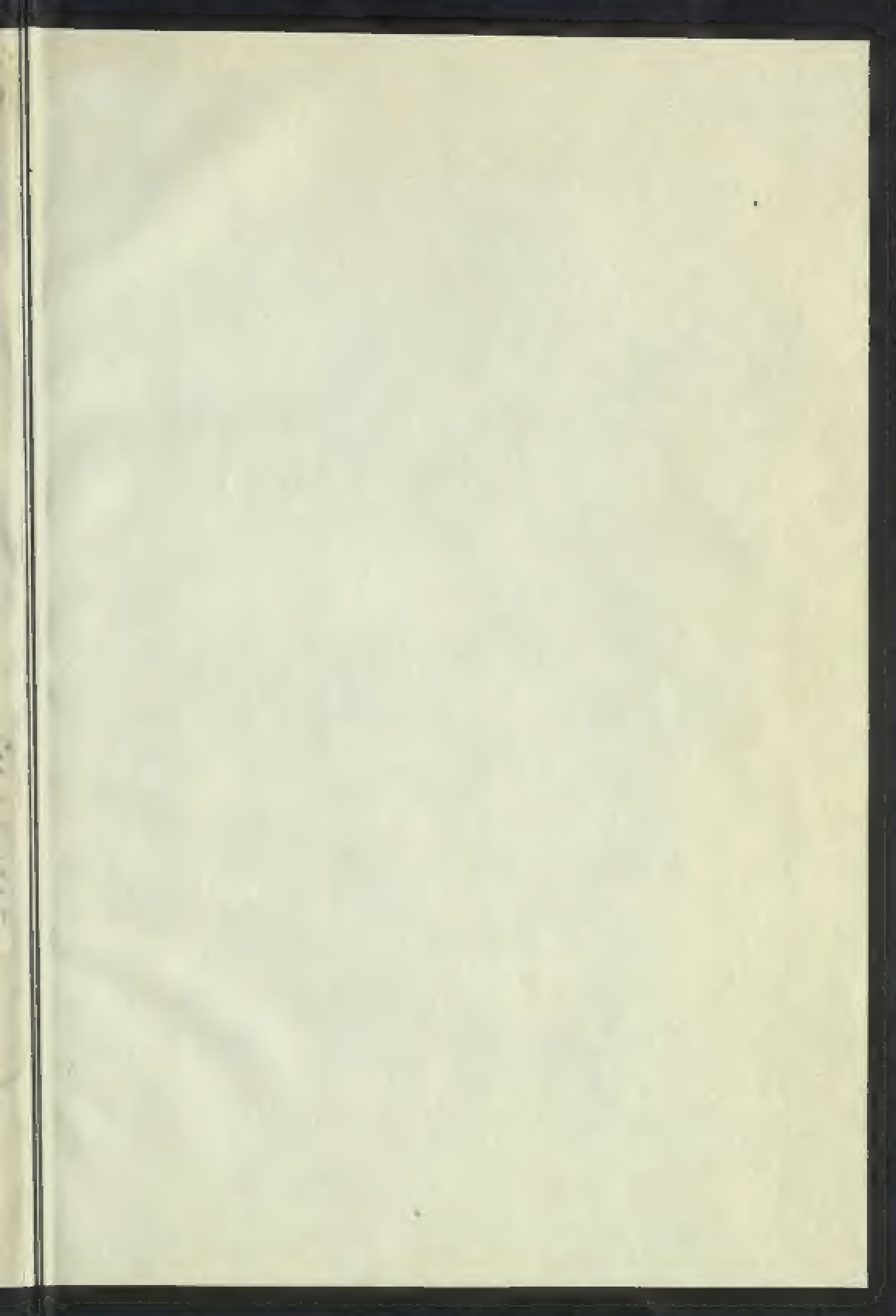








سلسلة خلاصة الفكر الإسلامي

اعترافات الغزالي

أو

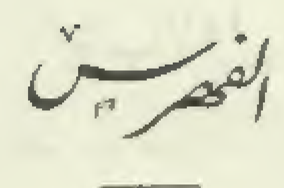
كيف أرخ الغزالي نفسه

الدكتور عبد الدايم أبو العطا البقري

الناشر: دار الكتب الأهلية بميدان إبراهيم باشا بالقاهرة

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٣





صفحة

تعريف ، أو : جواب وسؤال

ا — جواب ؟...

ب — سؤال ؟؟؟

الباب الاول

ا — لماذا ألف الغزالى المنقذ من الضلال ؟

أو : لماذا قدم إلينا اعترافاته ؟

ب — كيف درس الغزالى العلوم المختلفة ؟

حـ — كيف جمد العلوم ، وكيف أعلن الشك ، وكيف اعتصم باليقين ؟

الباب الثانى

الشك بين الغزالى وديكارت

ا — شك الغزالى وإيمانه

ب — شك ديكارت وإيمانه

صفحة

ج — شك الغزالي وديكارت وأبحاثهما :

الباب الثالث

كيف بحث الغزالي عن الحق ؟ وكيف قدر علم الكلام ورجاله

الباب الرابع

دراسة الغزالي الفلسفة، وتسفيهه المتفلسفين

ا — تاريخ هذه الدراسة كما اعترف به الغزالي.

ب — تحليل هذه الاعترافات

الباب الخامس

محاربة الغزالي مذهب التعليمية

صفحة

صفحة

الباب السادس

الغزالي والصوفية

١ – اعترافات الغزالي الصوفية

أو لماذا اعتزل نشر العلم ببغداد وعاد إلى نشره بنيسابور ؟

صفحة

صفحة

ب — كشف الغطاء [illegible]

الصفحة

قصة العراق المصورة كما هي الحق والواقع

[illegible] الخلوة والعزلة

هل [illegible] في مسلك الصوفية المرغوب فيه ؟

أو الرجوع إلى التدريس المرغوب عنه

الباب السابع

اعترافاته

أ — الاعتراف الأول، وهو اعتراف غير مقبول

صفحة

ب — الاعتراف الثاني، وهو اعتراف مقبول.

صفحة

تقديم

حين أديت امتحان الدكتوراه أول مرة بالجامعة المصرية سنة ١٩١٤ ، ثار الجمهور في [illegible] الامتحان على عنوان [illegible] العراق ، وغضب من مقدمة [illegible] ، وزاد في ثورة الجمهور [illegible] الأستاذ الشيخ [illegible] وكان من شهود الامتحان

ثم عادت الثورة ، حين ظهر كتاب « [illegible] » [illegible] بين الحرية [illegible] في [illegible] ، [illegible] الثورة [illegible] عن [illegible] على [illegible] ١٩٣٨

[illegible] الدكتور [illegible] « [illegible] العراق » [illegible] في [illegible] ، ثم [illegible] [illegible] العراق [illegible] وهذا [illegible] من مقدمة [illegible]

(١) [illegible]

ثم رجعت إلى نفسي فقلت : ما الذي يمنع من أن تكون

المقدمة موازنة بين ما قال المؤلف في العراق ، وما قلت فيه

لا تكون هذه فرصة لدراسة روح العراق ، وقد قيل

وقيل في شأن أهله

وما هي إلا أن نظرت في كتاب « الأدب في عهد العراق » حتى رأيت أن هجوم المؤلف على العراق صورة من هجومي عليه فيما يتصل بالاعتقادات ، وعلى الأخص فيما يتصل بالمؤامرة [illegible] وما ذكرناه ، فهم كانت [illegible] على المؤلف مع أني [illegible] في ذلك الهجوم [illegible] سؤال

ويظهر أنه فهم رغبة في مسايرة القدماء ، وهي رغبة لا تحرر منها إلا حين [illegible] الأعصاب [illegible] و [illegible]

وتظهر أنه روح العراق [illegible] على [illegible] من حين إلى حين

وقد اعتذر المؤلف عن العراق كما اعتذرت من قبل ، ومع هذا فإن المؤكد عندي أن العراق لم يمت لأعرف صداقته لمن جادلوه على نحو ما جادلناه ، لأن خصومة العراق ليست من جنس خصومة معاصريه - وكانوا أقرب من المخلصين - وإنما هي خصومة كريمة مصدرها الشوق إلى معرفة الحق وقد ترك ذلك البحث الكثير من أقوال وآراء

في المؤلف الجديد الذي أكتب له هذه المقدمة، عيب واحد،
هو أن المؤلف «الدكتور أبو [illegible]» يعرض على جمهور القراء
طرفاً من تاريخ العراق بالتفصيل، وهو يتوقع النقد والاعتراض، وذلك
في رأيي عيب هين، ثم يجوز أن تعترض الصعوبة الأبدية في قراء
اللغة العربية، ولكن عليهم أن يقفوا [illegible] من تاريخ العراق شيئاً فشيئاً.

والكتاب كله مبني على [illegible] عادات العراق، وجعلها
صورية لا حقيقية، وقد دار المؤلف حول هذا العرض بأسلوب
ملفوف، مراعاة لعواطف القراء، وقد حرص أن ينص في ذيل
الصفحة الثامنة على أن ملاحظاته المتفرقة

«لن تنقص من قيمة العراق شيئاً، ولن تنقص من كرامته
الشخصية بأي حال، وإن بدا للقارئ أنها تحمل عكس ذلك»

وأقول إن المؤلف كان يستطيع الاستغناء عن هذا الاحتراس
لأن البحث العلمي لا يعرف التحرج في الكشف عن الحقائق،
ولأن كرامة العراق الشخصية ليست أعز من كرامة العلم، وهو
من كبار الذين قضوا أعمارهم في البحث عن الحق

ومن حسن الحظ أن المؤلف لم يتحرج في محاسبة العراق، فمضى
في طريقه غير هياب، ولعل صراحته الجديدة هذه تهيج المتشيعين
للعراق، فيسوقهم إلى البحث في الرد عليه

ليتهم يفعلون فقد طال ركود الدراسات الفلسفية، وحرمت
من النفع الذي يثيره الجدال

ولكني أسوق شيئاً للغزالي في معذرته فأقول

هل كان يجب على الغزالي أن يمحو ما سطره من قلق سبب تحيره عن الوصول إلى الحقيقة

هل كان يجب على الغزالي أن يشكر نعمته بالدين والأهل والأبناء لصحيح خلوته الصوفية

هل كان يجب أن يكون على ثقة موثوقة بجميع شؤون حياته فيتنصل بنفسه من تهمة التزييف

إنا نعتقد أن الغزالي صادق في كل ما رواه، حتى في التحرز الذي أوجب كتمان بعض شؤونه وفي بعض الفضائل السلبية ما يوازي قوة الفضائل الإيجابية، لو نظرنا بعين الإنصاف

إن من أعجب العجب أن نرى حساب الغير رذيلة تهوي بصاحبها في أعمق دركات الجحيم، ولا نرى من الرذيلة أن نعيب أنفسنا بعرض مساوئها على الناس

إن تحير الغزالي في بعض الاعترافات دليل على أنه رجل سليم Normal وإن ذهب في بعد من ذلك. فأقرر أن رضا الغزالي عما انتهى إليه شاهد على قوة الثقة بالنفس، وقد أيد التاريخ هذا المعنى، فمكنه من الوثوب فوق مراحل التاريخ، وستنقضي أزمان وأجيال قبل أن ينال روح الغزالي شيء من الخمود

إن أكثر اللغات منطقة باسم الغزالي، مع أنه في اللغة العربية من المظلومين، فقد جنت شهرته بالتصوف على قيمته العلمية، وإلا

فمن الذي يعرف أن أبحاثه في المنطق هي خير ما كتب في اللغة العربية ؟

ومن الذي يعرف أنه ذلّل اللغة التي كتب بها علم الأصول ؟

ومن الذي يعرف أن أبحاثه في الفقه هي خير ما ترك الشافعية ؟

لا يعوز الغزالي إلا أن يكون له تلاميذ وحواريون ، ونحن تلاميذ ذلك الإمام الجليل ، وسنخدمه بنشر ما خلف من أفكار وآراء ، بتحقيق ما خلف ، وتقديمه بدراسة عصرية في كل إقليم ، وتوثيق اسمه من جديد في سماء العقول والقلوب

والرسالة التي كتبتها في هذه المقدمة خلقت هذا الغرض ، وهي ثورة على عبقريات العرب كما فهمها الأعداء والمستشرقون ، وثورة تفحص العصر عن تراث صاحب الإحياء

ليت ثم ليت

ليت الدنيا تسمح أن نتعصب في العرب لمصور إلى قواه العلمية والروحية ، فقد خلق هذا الرجل ليقاوم الفكر والبيان ، وشغل الدنيا بعقله وروحه آمادًا من الزمان

إن النسخة التي اعتمدتُ عليها في نقد كتاب الإحياء نسخة أثرية ، وقد سمعت أن الذي نشرها رجلٌ من بني إسرائيل !!

فمتى تعود سيطرة الغزالي العلمية والروحية ليتحرر في شركته أقطابُ المال ؟

ومتى نرى في القاهرة مكتبة لا تنشر غير مؤلفات الغزالي ، وما كُتب في نقد الغزالي

لقد استبشرت حين رأيت « دار الكتب الأهلية عبدان براهيم ناشد » تنشر هذا المؤلف ، وكان المظنون أن المكتبات التي تقوم بذلك الميدان لا تعرف غير طرائف الأقاصيص

مصر خير وعافية ، جعلها الله إلى الأبد منارة الفكر والعقل والبيان

زكي مبارك

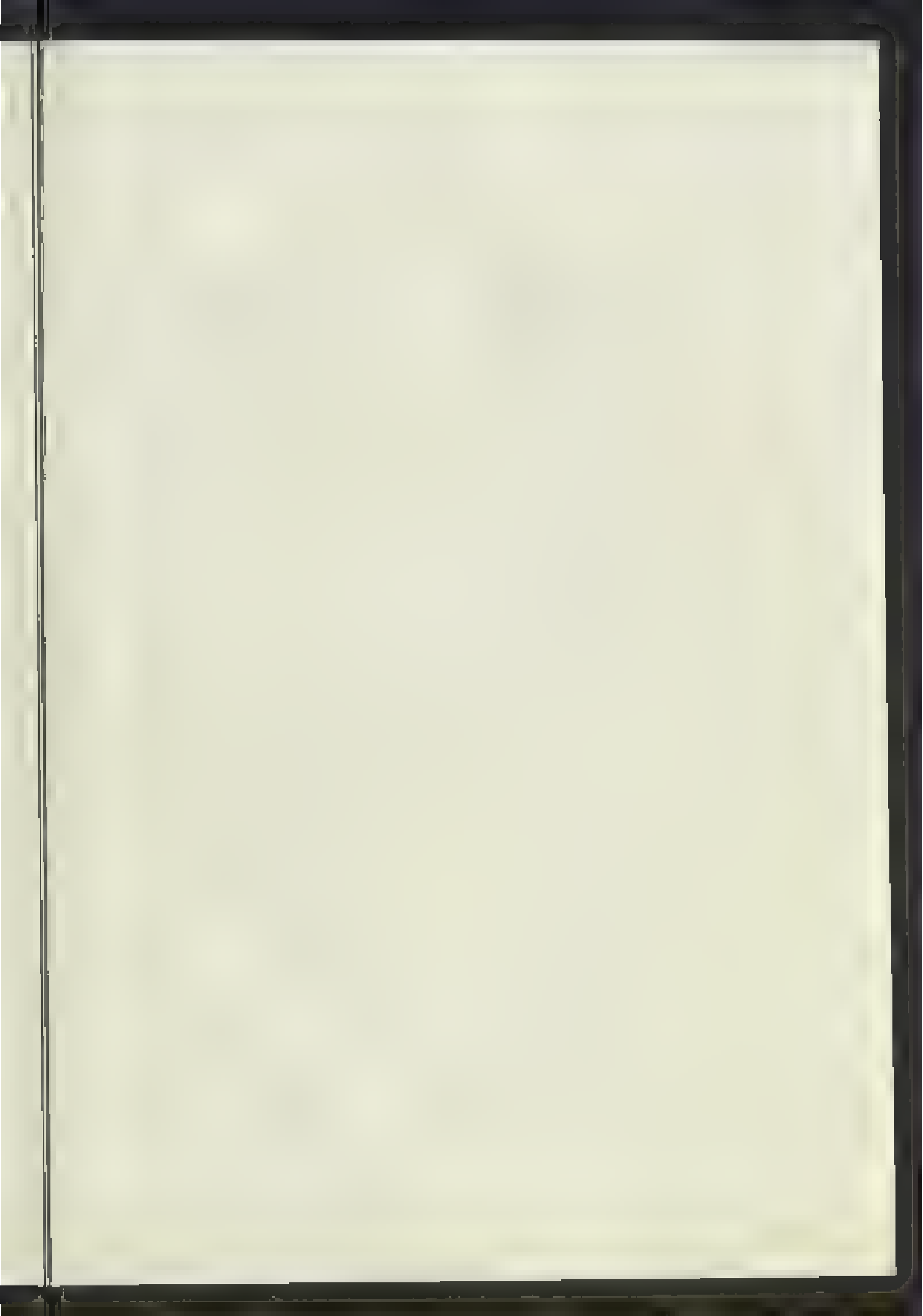
مفتش بوزارة المعارف

أول مارس سنة ١٩٤٣

تعريف

أو

جواب وسؤال



١ — جواب ...

١ — أبوه

أما أبوه فقد كان فقيراً صالحاً غزال صوف وكان دائماً يجلس إلى الفقهاء. ويخدمهم ويحسن إليهم، ويتمنى أن يكون ابنه مثلهم، وكان عندما يجلس إلى الوعظ وحلقات الصوفية يتأثر منهم ويرجو الله أن يرزقه ابناً يشاكلهم[1]

٢ — أمه

أما أمه فلا يعرف من أمرها شيء، إلا أنها توفيت وهو صغير

٣ — أخوه

أما أخوه الأكبر منه سناً، فقد انخرط في سلك الصوفية شاباً واحتل مكانه ودخل بغداد وازدحم الناس على دروسه وكان دائماً ينصح أخاه الأصغر هذا قوله

إذا صحبت الملوك فالبس من التوقي أعز ملبس
وادخل إذا ما دخلت أعمى واخرج إذا ما خرجت أخرس

٤ — الوصي عليه

أما الوصي عليه وعلى أخيه الأكبر هذا فقد كان رجلاً صوفياً وصاه عليهما أبوهما قبل موته

وهو الذي قال لهما عندما نفد الإنفاق عليهما

« اعلما أني أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل فقير لا مال لي فأواسيكما به. وأرى أن تلجآ إلى مدرسة كأنكما من طلبة العلم

(١) [illegible]

"فيحصل لكم قوت بعينكم على وقتكم." ففعلا وكان ذلك سبباً في تعلمهما(١)

٥ — موقفه

أما هو نفسه، الذي تخص به، فهو القائل "طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله"

٦ — تعلمه

أما بعض معلميه

ففي صباه كان أحمد بن محمد الراذكاني الذي أخذ عنه طرفاً من الفقه في طوس

وفي شبابه عندما سافر إلى نيسابور ليتلقى العلم بمدرستها كان إمام الحرمين أبا المعالي الجويني الأشعري السني حيث كان يدرس به، فدرس عليه المنطق والفقه والأصول والجدل. وظل معه بنيسابور إلى أن توفي سنة ١٠٨٥ م — ٤٧٨ هـ(٢)

٧ — اتصاله بالوزير نظام الملك

وبعد وفاة أستاذه إمام الحرمين هذا، خرج من نيسابور وسنه ثمان وعشرون سنة إلى المعسكر وهي بلدة قريبة منها

وهناك تعرف إلى الوزير نظام الملك مؤسس المدارس النظامية بالعراق(٣)

(١) [illegible] ج ١ ص ١٢

(٢) [illegible] ج ١ ص ١٧

(٣) هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (٤٠٨ — ٤٨٥ هـ). وزير السلطان [illegible] وزراء [illegible] الأدباء [illegible].

هذا الوزير ما كان يحترم إلا أدعياء العلم وفقراء الصوفية ،
ولما سئل عن سبب ذلك قال
« إن هؤلاء إذا [illegible] مني أثنوا علي بما ليس فيّ »

من ذلك الشاب الذي نترجم له يختلف إلى مجلس نظام الملك ٨
ويتدخل في المناقشات التي تحدث في ذلك المجلس

اختياره
مدرساً بالنظامية
ببغداد

وأخيراً بعد ست سنوات وجد الوزير نظام الملك في ذلك
الشاب ما يتفق ورغباته وميوله ، فولاه التدريس بنظاميه بغداد
١٠٩١ م - ٤٨٤ هـ وكانت سنه حينئذ ٣٤ سنة فزاول التدريس بها
ونال شهرة واسعة بقوة شبابه وفصاحة لسانه ، ونكاته الدقيقة
وإشاراته اللطيفة »(١)

(١) [illegible] ص ١٣ من
كتاب [illegible] La Pensée Philosophique ١٩٣٩ [illegible]
Algazel [illegible]

ب – سؤال ؟؟؟

٨ – أسئلة أو بعد الاعتراف

لماذا ترك التدريس بنظامية بغداد وبعد عشر سنوات أو يزيد رجع إلى التدريس بنظامية نيسابور ؟

لماذا ترك العراق واختفى بالشام عشر سنوات أو يزيد ثم رجع إلى العراق ثانية ؟

لماذا حمل على الفلسفة وسفه الفلاسفة ؟

لماذا هاجم الباطنية وكتب ضد التعليمية

لماذا [illegible] غير الله في أن يكون إلا الله ، ولا ندري هل كان ذلك حقا وصدقا ، أو [illegible] وتصدق به [illegible] الله [illegible] كما [illegible]

ثم الأجوبة عن ذلك كله فسنتلمسها عند هو نفسه في عباراته التي سجلها بنفسه والتي سطرها في كتابه « وهو المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال » والتي سنتكلم عنها بإسهاب في الفصول الآتية

أما من هو ذلك الصبي – المجتهد – الشاب – الأستاذ – الفيلسوف – الصوفي – المعترف ؟

فهو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الفارسي الأصل

والمولود في ٤٥٠ هـ – ١٠٥٨ م بطوس

والمتوفى في ٥٠٥ هـ – ١١١٢ م بطوس أيضاً

الباب الاول

ا — لماذا ألف الغزالي المنقذ من الضلال ؟
أو لماذا قدم الينا اعترافاته ؟

١ — [illegible]
٢ — [illegible]
٣ — [illegible]

ب — كيف درس الغزالي العلوم المختلفة ؟

٤ — كيف [illegible]
٥ — [illegible]
٦ — [illegible]

حـ — كيف جحد العلوم وكيف أطلق الشك وكيف اعتصم باليقين ؟

٧ — [illegible]
٨ — [illegible]
٩ — الأحلام بين [illegible]
١٠ — [illegible] على [illegible]
١١ — [illegible]
١٢ — [illegible]

١ لماذا ألف الغزالى المنقذ؟
أو لماذا قدم إلينا اعترافاته؟

١ — أما بعد

«أما بعد فقد سألتنى أيها الأخ فى الدين، أن أحكى لك ما قاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار، وما استفدته أولاً من علم الكلام، وما اجتويته ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف، وما ارتضيته أخيراً من طريقة التصوف، وما انجلى لى فى تضاعيف تفتيشى عن أقاويل الخلق من لباب الحق، وما صرفنى عن نشر العلم ببغداد، مع كثرة الطلبة، وما دعانى إلى معاودتى بنيسابور بعد طول المدة

ملاحظات

١ — [illegible] النصوص [illegible] من كلام [illegible] بعد [illegible] المعنى المراد [illegible] بأى حال

٢ — [illegible] على النسخة المطبوعة [illegible] سنة ١٩٣٤ والى طبعتها شعبة الفلسفة [illegible] أصحها وأدقها.

٣ — أرجو القارئ ألا [illegible] الغزالى حتى [illegible] الذى اعتقد أن [illegible] الأخرى، [illegible] بأى حال وأن [illegible] القارئ [illegible] عكس ذلك

فاتدرت لحاجتك إلى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك ، وقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه ، ومستوفقا منه ، وملتجئا إليه . . . . . . اعلموا . . . . »[1]

٢ — الظروف التي ألف الغزالي فيها تاريخ حياته

بهذه الكلمات بدأ الغزالي يقص علينا تاريخ حياته الفكرية في كتابه « المنقذ من الضلال ، والموصل إلى ذى العزة والجلال » .

وقد كان ذلك حول الأيام الأخيرة من سنة أربعمائة وتسعة وتسعين هجرية ، أو الأيام الأولى من السنة التي تليها .

وبعد أن انتهى فعلا من تآليفه الفقهية والأصولية ، ومن رده على الباطنية والفلاسفة ، ومن الدعاية والنشر لتقاليد الصوفية وأحوالهم ، وبعد أن ودع كل علمه بحياته الخالدة .

وبعد أن جاوز سنه الخمسين ، وقبل أن يصعد بروحه بأربع سنوات إلى الرفيق الأعلى .

٣ — السبب المباشر في تدوينه تاريخ حياته

وسواء أكانت حقيقة أن ثمت له في الدين حكاية ما قاساه في استخلاص الحق وبيان ما صرفه عن نشر العلم ببغداد ، وماذا دعاه ثانية إلى نشره بنيسابور . . .

أم أنه ليس هناك سائلا قد سأله هذا السؤال ، فهذا فضلا عن أنه عرض للفكر التي يحتويها الكتاب مرتبة كتابة بيد الكاتب نفسه ، فهو على كل حال يدل على أن تطوره الفكرى وسيره العلمى فيه بعض الغموض الذى يحتاج إلى شيء من

(1) منقذ ص ٣ و ٤ .

التصويب والإيضاح ، حتى يرد ما وجه إليه من النقد، «كما يفهم ذلك من سؤاله السابق» ، أو ما قد يُوجه إليه في المستقبل

لاسيما أن الناس جميعاً قد رأوه يترك التدريس بنظامية بغداد ، ويعتزل الناس عشر سنوات أو تزيد

والمعروف أنه بعد هذا الاعتزال يرجع إلى نيسابور ليقوم بتدريس تلك العلوم نفسها

والواقع أن هذه الحادثة ، حادثة رجوعه إلى التدريس بنيسابور ، «وهي آخر الحوادث التي سجلها في المنقذ» كانت هي السبب في تأليفه هذه الرسالة وفي تسجيله اعترافاته ، أو بعبارة أدق كانت هي مناسبة نشر الكتاب «المنقذ من الضلال ، والموصل إلى ذي العزة والجلال» .

ب — كيف درس الغزالي العلوم المختلفة ؟

٤ — كيف درس الغزالي العلوم ولماذا ؟

حدثنا الغزالي بأنه

«منذ راهق البلوغ، أي من قبل العشرين إلى الخمسين وهو في حرب وجهاد، فهو يقتحم بحار العلوم، ويخوض غمارها خوض الجسور، ويتوغل في كل مظلمة، ويتهجم على كل مشكلة، ويتقحم كل ورطة، ويتفحص عن عقيدة كل فرقة، ويستكشف أسرار كل مذهب»[1]

«فقرأ الفلسفة، ودرس الظاهرية، وبحث الباطنية، ووقف على كلام المتكلمين، وحرص على معرفة أسرار الصوفية»[2]

لماذا كل هذا ؟

يجيب الغزالي :

«إنه يريد أن يميز بين المحق والمبطل، بين المتسنن والمبتدع»[3]

«وإن التعطش إلى درك الحقائق» حقائق الأمور «دأبه»

(١) المنقذ ص ٥

(٢) المنقذ ص ٥ و ٦

(٣) المنقذ ص ٥

وديدنه غريزة وفطرة وصعتا من الله فى جبلته ، فليس له فيه حيلة واختيار »[1] .

ويحدثنا أيضاً بأنه :

عندما صرح الغزالى بالصعد مهرية

« عندما وجد نفسه اضطراراً لا اختياراً متعطشاً إلى درك الحقائق ، وبأنه عندما رأى صبيان النصارى يشبون على التنصر ، وصبيان اليهود يدرجون على التهود ، وفتيان المسلمين يشبون على الإسلام ، وعندما سمع حديث محمد عليه السلام « كل مولود يولد على فطرة الإسلام ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »[2] .

ثم يحدثنا بأنه

« عندما رأى كل هذا أحس منه رابطة التقليد ، وانكسرت عليه العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا ، وتحرك باطنه إلى طلب حقيقة الفطرة الأصلية ، وإلى معرفة حقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، وإلى التمييز بين هذه التقليدات التى أوائلها تلقينات »[3]

حقيقة أو اليقين

وهنا يجد الغزالى تحديد الخطة التى ينشدها ، ويبين العلم اليقينى الذى يريد أن يعتصم به

فقد ظهر له

« أن العلم اليقينى هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى

(1) المنقذ ص ٧ .
(2) المنقذ ص ٧ .
(3) المنقذ ص ٧ و ٨ .

معه ريب، ولا يقرب منه غلط أو وهم، حتى ولو قلب الحجر ذهباً، والعصا ثعباناً، دليلاً على عدم صحته ما تطرق إلى المؤمن به ظل من الشك أو خفيف من الإنكار ».[1]

وبعد أن يصل الغزالي إلى هذا التحديد يعلن للملأ حكمه.

« إن كل الحقائق التي لا يعلمها على هذا النحو من اليقين هي حقائق لا ثقة بها ولا أمان معها ».[2]

وبعبارة أدق هي ليست في نطاق العلم اليقيني بأي حال.

---

(١) « المنقذ ص ٨ »
(٢) « منقذ ص ٩ »

حـ – كيف حدد العلوم؟
وكيف أعلن الشك؟
وكيف اعتصم باليقين؟

يحدث الغزالي بأنه

بعد تحديده العلم اليقيني أخذ يفتش عن علومه التي لها صفته والتي تدخل في نطاقه فوجد أن الحسيات والضروريات هي التي يمكن أن تكون لها هذه الصفات»[1].

ولكنه يتشكك فيها قائلا

«لماذا لا تكون الحسيات غير موثوق بها كالتقليديات سواء بسواء وهي التي صرحت بضعفها»

وهل حقا يمكن أن يتطرق إليها الشك

نعم وفعلا تطرق إليها لأن واحدا منها فهو ذا أقوى حواسه وهو البصر وحده يحس بأنه ينظر إلى الظل فيراه واقفا بينما هو بالمشاهدة والتجربة يتحرك تدريجيا، ويحس بأنه ينظر إلى الكوكب فيراه صغيرا في مقدار دينار بينما الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار»[2].

---

(١) «المنقذ» ص ١٠ .
(٢) «المنقذ» ص ١١ .

يستنبط الغزالي من هذا :

« ان أمثال هذه المحسوسات التي كانت وسائل علمه بها وحكمه عليها حواسه لا يمكن أن تدخل في نطاق العلم اليقيني إذ جاء حاكم العقل فكذبها تكذيبا لا سبيل إلى مدافعته »[1]

٢ — [illegible] الأوليات [illegible]

وهنا يقفز الغزالي إلى النتيجة الآتية قائلا

« أما وقد بطلت الثقة بالمحسوسات فهل يمكن أن توجد ثقة بالعقليات المؤسسة على الأوليات كقولك العشرة أكثر من الثلاثة والنفي والإثبات لا يجتمعان ... »[1]

ولكن المحسوسات تنهض قائلة له :

بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات ؟

أما كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ، ولولا حاكم العقل لاستمررت على تصديقي !!؟

ألا يمكن إذن أن يكون وراء إدراك العقل حاكم آخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الحاكم « الإدراك » لا يدل على استحالته !!؟ »[2]

٣ — الأحلام في تعميقه الشك

لم يجد الغزالي جوابا عما سبق ، بل زاد شكه وأيده بما يراه في المنام من الأحلام والخيالات التي يعتقد ثبوتها واستقرارها ، وعند

---

(١) « منقذ ص ١١ »
(٢) « منقذ ص ١١و١٢ »

استيقظ يعلم أن جميع ما رآه في منامه وهم وخيال

وهنا يسائل الغزالي نفسه :

« بم تأمن أن تكون هناك حالة » هي غير موجودة لسبب ما « نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى منامك ، وتكون يقظتك نوماً بالنسبة إليها ، وعلى ذلك فكل ما تعتقده في يقظتك بحس أو بعقل هو حق بالإضافة إلى حالتك الآن

أما لو عرضت لك تلك الحالة » التي هي بسبب ما غير موجودة الآن « لتيقنت أن جميع ما توهمته بعقلك هو خيالات لا أصل لها.

وهنا عرض الغزالي أن تلك الحالة هي بما يمكن أن تكون

أ — الحالة التي يدعيها الصوفية « حالة الجذب » Extase فهم يزعمون حين تلابسهم تلك الحالة أنهم يشهدون أموراً لا توافق هذه المعقولات

ب — وربما تكون هي حالة الموت فمحمد عليه السلام يقول « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فلعل الحياة الدنيا هي نوم بالنسبة إلى الحياة الأخرى ، فإذا مات الإنسان ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهدها الآن ويقال له حينئذ « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (1).

الشك يسيطر على [illegible]

ثم جالت بفكر الغزالي الخواطر السابقة وانقدحت في نفسه فحاول لذلك علاجاً ، والعلاج لا يمكن إلا بالدليل ، والدليل لا يمكن

(1) المنقذ ص ١٢ و ١٣

إلا أن يكون مركباً من الأوليات، وقد رأيت سابقاً أنها ليست
في طريق علمه اليقيني

«أعضل الداء وشح الدواء فظل شهرين قريب وهو على مذهب
السفسطة بحكم الحال لا بحكم المقال»[١]

٥ — القلب يصرع الشك

«ولكن بعد أن انتهى الشهران شفاه الله من ذلك المرض
وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات
والأوليات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين»[١].

كيف شفي؟

كيف رجعت الأوليات في نسق علمه اليقيني

«لم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله
في قلبه»[٢]

«ذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف»[٣]

٦ — نور مرده اليقين

«ذلك النور هو الذي أراده الله سبحانه جل جلاله عندما قال
«فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام»[٣]

«ذلك النور هو الذي أراده النبي المصطفى عليه السلام عندما سئل
عن معنى الشرح فقال «هو نور يقذفه الله في القلب»[٣].

«ذلك النور علامته التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى
دار الخلود»[٣]

«ذلك النور هو الذي قال محمد عليه السلام فيه «إن الله تعالى

(١) «المنقذ ص ١٣» (٢) «المنقذ ص ١٣» (٣) «المنقذ ص ١٤»

خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره »[1].

« ذلك النور ينبجس من الجود الإلهي »[1].

« ذلك النور يجب الترصد له ، إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها »[2]

« من ذلك النور يجب أن يطلب الكشف »[2] « وبه تحيى العلم اليقيني ويتقد الحقيقة والمعرفة Conoscensa »

هذا هو شك الغزالي ... وإيمانه كما روى ذلك هو نفسه .
أما تحليله ونقده ، أما وجه الحق فيه ومدى التوافق لديه فإليك النقد وإليك التحليل

---

(١) « المنقذ ص ١٤ » (٢) « المنقذ ص ١٤ و ١٥ »

الباب الثاني

ا — شك الغزالي وأسبابه

١ — [illegible]
٢ — [illegible]
٣ — [illegible]
٤ — [illegible]
٥ — [illegible]
٦ — [illegible]
٧ — [illegible]
٨ — [illegible]
٩ — [illegible]
١٠ — [illegible]
١١ — [illegible]

ب — شك ديكارت وأسبابه

١٢ — [illegible]

ح — شك الغزالي وديكارت وأسبابهما

١٣ — [illegible]
١٤ — [illegible]
١٥ — [illegible]
١٦ — [illegible]
١٧ — [illegible]
١٨ — [illegible]
١٩ — [illegible]
٢٠ — [illegible]
٢١ — [illegible]
٢٢ — [illegible]
٢٣ — [illegible]

١ ـ شك الغزالي وإيمانه

١ ـ لماذا أورد حكاية شكه؟

أما لماذا أورد الغزالي حكاية الشك مفتتحا به اعترافاته التي قصها في المنقذ فلأن طريق المفكرين ومنهج العلماء الأحرار هو عدم التقيد بآراء السابقين إلا من وافق آراءهم وحينئذ يتفقون معها لا على أنهم لها مقلدون بل لأنهم هم فيها موافقون فكأنهم لها مفكرون.

وهكذا يريد الغزالي أن يدل على أن بحثه في العلوم ووصوله إلى الحقيقة وظفره بالمعرفة إنما كان عن بحثه الخاص، وتفكيره الشخصي واستقلاله الفكري فلم يتقيد بشيء من المعارف وبعض العلوم بعد أن أتى عليها وعرفها، فخرج من حجج المتكلمين إلى معالم التعليمية «الباطنية» ومن آراء الفلاسفة إلى بحث الصوفية، لم يقلد شخصا ولم يتابع مذهبا، وإنما شرح صدره لكل هذه الحقائق، واختط لنفسه طريقا صحيحا سار عليه حتى اعتصم بالحق، ولاذ بالمعرفة واليقين.

ولكن هل يمكننا أن نفهم أنه كان كذلك حقا؟

أو بعبارة أدق

هل فكرة الشك التي حكاها الغزالي في المنقذ كانت في نفسه

ونزعت من تفكيره ولم يتغلب على غيره

من أين أتت للغزالي فكرة الشك ؟

ليس من ريب في أن فكرة الشك في الحقائق، والتجرد من التقييدات والتقيدات، هي فكرة قديمة نشأت مع طمع الإنسان من طلب المعرفة لكل ما يجري حوله، ومن الجهل بها جميعا، ومن الشك فيها جميعا، ومن الوقوف على حقيقتها أخيرا

أليس الشك هو المرحلة الوسطى لجميع الحقائق

أما فكرة تجسيم الشك واعتباره، واعتباره كمذهب من مذاهب التفكير، وكوسيلة من وسائل الوصول إلى المعرفة، فهي فكرة إغريقية قديمة نادى بها السفسطائيون، واحتضنوها في التفكير، ووضعوا لها قواعده

ليس في كل هذا ريب

ولكن: ألا يكون الغزالي قد وصل في تجربته الشك هذه بفكره المستقل ورأيه الخاص

ولم لا يكون اتفاقه مع السفسطائيين في الفكرة إنما هو من توافق الآراء وتلاقي الأفكار

نعم إن الغزالي نفسه قد كفانا مئونة البحث والتحقيق، فقد دل على أنه قد عرف حكاية الشك، وعرف أن السفسطائيين أصحابها، وعرف أنه نقلها عنهم، بل وذكر في أحد كتبه، وقد كان قبل أن يكتب كتابه المنقذ هذا، وقبل أن ... فضلا عن ... أنه هو المبتكر لها المخترع لأجزائها

فهو في كتاب « فضائح الباطنية »(1) طبعة ليدن سنة ١٩١٦ بإشراف J. Gold Ziher يقول :

« إن السفسطائيين أنكروا الضروريات وجاحدوا فيها، وزعموا أنها خيالات لا أصل لها، واستدلوا على هذا الزعم بأن أظهر الضروريات هي المحسوسات ومع ذلك فلا يمكن القطع بها

فهذه مشاهدة شخص وكلامه فلا يمكن أن تكون مشاهدته وكلامه دالا على حصوله، إذ لعلك تراه في المنام، وكم من منام يراه الإنسان ويقطع به، ولا يتمارى فيه ثم ينتبه في الحقيقة ثم ينتبه على شيء فيتبين أنه لا وجود له »(2).

٣ — [illegible]

ثم إن الغزالي قد أخذ فكرة السفسطة هذه كما أخذ غيرها [illegible] وطبقها، فبدأ بالعلم الذي جاءه المحسوسات، ثم الذي جاءه الأوليات الضرورية، [illegible] وهذا يعني الغزالي بأنه شك في جميع الأشياء، وأنه عاجز عن الوصول إلى اليقين، فسمى تلك الحالة « حالة السفسطة » [illegible]

وخير شاهد له من هذا [illegible]

حكى الغزالي كل ذلك في أسلوب [illegible] مؤثر، عاطفي أكثر منه عقليا، [illegible] أكثر منه منطقيا

٤ [illegible]

فإذا ما عرجنا على أسباب النهضة الحديثة، والمحسوس

(1) [illegible] ١٩١٦ ص ٣٧٢ [illegible]

(2) [illegible] ص ٢١.

بها وهم وضلال ، لأنك ترى الظل واقفا بينما هو يتحرك

من أين عرف وقوف الظل ؟

بنظره الخاطف السريع

من أين عرف حركة الظل ؟

بنظره الهادئ الرزين . بتجربته ومشاهدته المبنية على النظر الممتد والنظر المستديم

وهذه التجربة أصبحت عنده ضرورة عقلية وقاعدة لا تبدل فيها ولا تحول

وبما أنه أدق كان حكمه الأول غير صحيح لأنه غير شامل ، وكان حكمه الثاني صحيحا لأنه حد كامل

وإذن فالحس هو الذي خطأ الإحساس

ويعترض على الاستشهاد الغزالي السابق من أن هذه ضرورة عقلية وحاكما عقليا قد كذب حواسه «حاكم الحس» فتخص هذه الحواس لأن من شأنه فكيف تثق إذن بالضروريات العقلية

ويقرر أنه قد يوجد حاكم لم يعثر عليه للآن «كذب» هذه الضروريات كما كذب حاكم العقل حاكم الحس

— عن عجز إيراد الأدلة على عدم الثقة بالأوليات

وفضلا عن أن هذا افتراض محض يمكن أن يوجه إلى أية حقيقة في الوجود ، وفضلا عن أنه يمكن افتراض حاكم آخر يخطئ الحاكم الذي افترضه ، وهكذا تتسلسل فرض هذا الحاكم إلى ما لا نهاية .

ثم أقول فضلا عن كل هذا فإن الغزالي بنى هذا الفرض على

أساس أنه عثر على حاكم عقلي كذب الحاكم الحسي

مع أنك لمست أن هذا الحاكم العقلي هو حاكم حسي ، وأنه لم يكن هناك تصديق ثم تكذيب ، بل كان هناك حكم « حسي خطأ » وحكم حسي صواب ، وأن هناك حاكما حسيا خطأ حاكما حسيا .

وهذا كله فضلا عن أنه هو نفسه يرد هذا الرأي السفسطائي في فضائح الباطنية السابق الذكر مثبت أخير

« إن قول السفسطائيين بالشك في المحسوسات والضروريات يجب أن لا يشكك فيهما وكذلك النظريات فيها بعد وصولها من مقدمات تنتج ضرورية لا تماري فيها كما في الحسابات[1] »

٦ – من حسه رده الأحلام شكا في شك

ثم هذه هي مشكلة الحاكم الحسي ، ومشكلة الحاكم العقلي ، أما مشكلة الأحلام فيعتقد الغزالي أن الأحلام زادته شكا على شك ، لأنه عاذا يأمن وجود حالة « افترضها هو » حتى ما رآه في اليقظة ضلالا ، كما أحالت اليقظة ما رآه في المنام ضلالا

ولكن هذه الحالة المفترضة كما قد لا بد أن يكون لها أساس كسائر الافتراضات تؤسس عليه ، ولا بد أن يكون لها قياس يتجه ، وهدف تتجه إليه .

ويظهر كما يفهم من كلام الغزالي أنه فرض هذه الحالة قياسا على افتراضه حالة الحاكم العقلي حين عثر عليه فكذب به الحاكم الحسي ، وعلى افتراضه حالة لا وجود لها قد تكذب الحاكم العقلي أيضا

(١) « فضائح الباطنية ص ٢٩ »

فهي كما ترى افتراضات أساسها غير صحيح، لأنه كما سبق لا يوجد حاكم عقلي ليكذب الحاكم الحسي، وإن وُجد حاكم حسي يكذب حاكماً حسياً.

٧ — دوافع الغزالي إلى هذه الافتراضات

ولكن ما الذي دفعه إلى كل هذه الافتراضات؟

هناك حقيقة كونتها من دراسة الغزالي:

وهي أنه على استعداد لأن يأخذ بأية فكرة من الفكر، شرعية أو فلسفية أو صوفية أو حتى سفسطائية كما هنا، متى أحس بشدة حاجته إليها، ثم يؤيدها بالأدلة، ويؤكدها بالبراهين، من أي نوع كان، وبأي أسلوب اتفق به.

وقد وجد نفسه في حاجة إلى فكرة الشك التي عثر عليها عند دراسته الفلاسفة الأقدمين «السفسطائيين» فاستعملها، ولكنه يريد أن لا يسندها في المنقذ إلى مذهب، كما أسندها إلى أصحابها في كتابه المستظهري «فضائح الباطنية».

٨ — لماذا أسند [illegible] حكاية الشك في المستظهري دون [illegible]

أما لماذا أسندها هناك ولم يسندها هنا؟

فلأنه هناك كان يجادل ويناضل علماء اصطلحوا وتسلحوا بسلاح الفلسفة وعلم المنطق، فلا تخفى عليهم مثل فكرة الشك إذا لم يسندها إلى مذهب، فإن لم يسندها تؤخذ، وعدوّها بكشفه وضعفه.

أما هنا فليس هو في موضع نقاش، بل هو يكتب ما يكتب في المنقذ للناس جميعاً، فأراد أن يوهمهم أن نظرية الشك هذه من

تفكيره الخاص، ولهذا فهو يوردها بدافع من نفسه، ويورد كثيراً
من الاعتراضات عليها ليفندها، وأخيراً يؤيد ما يريد بكلام الله،
وكلام الرسول، وكلام الفلاسفة، وكلام المتصوفة.

أقول: وجد نفسه في احتياج إلى فكرة الشك، ولكن:
كيف مضى بها [illegible]
وكيف يعطي نفسه القوة ليتغلب عليها
ثم بالافتراضات [illegible] كانت
وبالتصوف تغلب عليها كما سترى

٩ — [illegible]

ثم بالتصوف تغلب عليها فهو يخبرنا أن الغزالي قد شك
في كل شيء، حتى في المحسوسات ومعقولات الأولية، ومن [illegible]
أول في النظريات والمعقولات [illegible]، و[illegible] شكه و[illegible]
[illegible] ورؤى [illegible] نفسه [illegible]، ودام على ذلك شهرين
كاملين لم يكتب فيهما عن شكه كله، ولم يحدث به في نفسه [illegible]
متحدث، [illegible] لا [illegible]
من المحسوسات والأوليات، وهي [illegible]

[illegible] من هذا [illegible] شكي
الخروج.

[illegible] من [illegible] الكثير من يريد أن يكتب عن [illegible]
لفرد ما، أن يجتهد في أن [illegible] ذلك الفرد، و[illegible] نفسه

ظروفه ، أو على الأقل ليذكر هذه الظروف جيداً ، وليشعر نفسه
أنه مغمور بها ، ثم يتركها لنفسه حينئذ تذهب العوامل المختلفة ،
والعوارض المتباينة ، ثم يتحدث

ومما لاشك فيه أنه يكون قادراً على التحدث من أي شخص
[illegible] نفسه تلك الخبرة ، و[illegible] بهذه الظروف والملابسات

أقول [illegible] كيف خرج الغزالي من هذا المأزق [illegible] [illegible] وهذه [illegible] ، و[illegible] هذا [illegible] في [illegible] ، [illegible] سكت و[illegible]

[illegible] كيف خرج [illegible] [illegible]

[illegible]

أن [illegible] [illegible] ، و[illegible] الإسلام ، و[illegible]
[illegible]

[illegible] من هذا [illegible] [illegible] ، [illegible] وهو
[illegible] ، و[illegible] من كلام الله ، وكلام محمد ، و[illegible] ،
[illegible]

[illegible]

أنه [illegible] [illegible] ، و[illegible] في كل [illegible]
[illegible] ، و[illegible] [illegible] و [illegible] و[illegible]
في [illegible] الآخرة » (١)

[illegible]

---

(١) [illegible] ص ١٠٣

حد محال أيضاً.

لأنهم الفئة التي كتب تهافته في الرد عليها، فشوش آراءها،
وسفه أحلامها

لم يبق إذن، إلا أن يخرج مخرج الصوفية، وهم الذين اعتزل
أخيراً معهم الناس عشر سنوات أو تزيد

وهو يقول فيهم

"إن طرقهم أحسن الطرق، بل لو جمع عقل العقلاء، وعلم
الواقفين على أسرار الشرع، ليغيروا شيئاً من سيرتهم، ويبدلوه بما
هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلا، إذ أن جميع حركاتهم وسكناتهم،
ظاهراً وباطناً، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور
النبوة نور على وجه الأرض يستضاء به[1]"

نعم إن جميع حركاتهم، وسكناتهم، مقتبسة من نور النبوة، أي
أن جميع أفكاره وآرائه صوفية، بل نوع من اليقين نفسه
ولكن كيف يصل إلى تقييم هذا؟

ليس هناك من دليل عقلي يركن إليه، ليخرج به من مأزق الشك
واللبس، فيقوده إلى حقيقة اليقين، إطلاقاً

المسألة إذن عكسية ومنطقية مقطوعة بين الحقيقتين؟

الحقيقة الأولى إثبات الشك في كل شيء، والحقيقة الثانية إثبات
اليقين في كل شيء.

---

(١) المنقذ ص ٦٨.

ولكن هل التصوف معترف بالعقل، وبالمنطق، وبالفكر، وبالمقدمات، وبالنتائج؟

كلا! «فالعقل ليس كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات»[1]

«ومن قصر الكشف والمعرفة على الأدلة المجردة، فقد ضيق رحمة الله الواسعة[2]».

هذا الباب مفتوح على مصراعيه، فليدخل الغزالي رياض التصوف، ولو كان مدخلها كسم الخياط.

وفعلا يدخل الغزالي هذه الرياض، فيجد أن الله، أو نور الله بعبارة أدق، هو الذي يمكنه أن يكون هذه الحلقة المفقودة

وهنا يؤذن في الناس بأن الله قذف في قلبه نورا جعله يؤمن بالمحسوسات، وبالعقل وبما بعده.

11 — ولكن من أين أتى الله إلى ذلك النور؟

ولكننا نعيد السؤال الذي سألناه عندما انتهى إلى الشك في كل شيء،

نعيده مستبدلين كلمة الشك بكلمة اليقين مستفهمين

هل فكرة اليقين لصيقة بعقله، أو بعبارة أدق، هل فكرة النور التي قذفها الله في قلبه، فأرجع بها الإيمان، نبتت في نفسه، ونزعت من نفسه، ولم يتلقها عن غيره؟

ثم ربما نستجيب كما أحسسنا بقلق «سمري»

فها هو الغزالي جالس على أريكته وهو في العزلة حينما كان يقرأ

(١) «المنقذ» ص ٤٥ — (٢) «المنقذ» ص ٤٦

للصوفية ، وتحدث إليهم ، وكتب عنهم أن قرأ للحارث بن أسد المحاسبي ، كما كتب هو نفسه في كتابه[1]

« إن العقل نور قذفه الله في النفس به يستعد الإنسان لإدراك الأشياء »

ويقول العراقي أيضا في نفس الصفحة

وينكر المحاسبي أيضا رأي من قال بأن العقل يتكون من مجرد العلوم الضرورية »

ثم أي ورأى أن العراقي قد قال في هذه بالحرف الواحد

إذن فالعقل الذي يريده العراقي يدرك به المحسوسات والأوليات ويضيف إليها هو ذلك النور

إذن ليستمد العراقي نفسه ، مستمدة من كلام الصوفية ، ويقص عليه بكلتا يديه ، ويقذف به في نفسه ، فيعود به إلى صحته والاعتدال ، وترجع الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن وثقة وفعلا قد كان »

(١) ج ١ ، طبع ١٢٨٩ هـ بمصر ص ٧٥ .

ب — شك ديكارت وإيمانه

« صورة سريعة لشك ديكارت »

يسير ديكارت في تصوير شكه كما حكاه في التأملات وفي المنهج السير الآتي

١٢ — مراحل الشك الديكارتي

١ — لاحظ ديكارت أنه تلقى في صغره من الآراء الخاطئة على أنها صحيحة، فأراد تمحيصها. ولكنه وجد أن ذلك أمر عسير وخطير، ولهذا انتظر حتى بلغ سن النضج والقوة، ليقوى على تنفيذ ذلك الأمر الجليل، واحتمال هذا الشيء الخطير

المرحلة الأولى

وأخيرا حرر نفسه من الأهواء، والأفكار، والمشاغل، واعتزل الناس، وعكف جديا على هدم أفكاره القديمة عامة [1]

٢ — وبعد أن تخلص من هذه الأفكار أخذ يفكر من جديد، فوجد أن أقوى ما يحصل عليه من المعلومات، يأتي له عن طريق الحواس، ولكنه جرب أحيانا أن الحواس خادعة

المرحلة الثانية

إذا يجب عدم الركون إلى من خدعنا، وعدم الاعتراف بما توصله لنا الحواس من الحقائق [2]

---

(١) « تأملات » ص ٣٥ — ٣٦ ، رقم ٢٢٢٨ [illegible]

(٢) « تأملات » ص ٣٧ .

المرحلة الثالثة

٣ — ولكن هل للحقيقة وجود ؟

يقول : إنى أرى فى نومى أشياء أعتقد أنها حقيقية ، ثم عند استيقاظى أجدها وهما وخيالا .

ولكنى أحس أنى كذلك حين المنام ، وأتحقق عما رأيت ، ويحدث أننى واثق كذلك عما أراه فى اليقظة ، فأين الحقيقة وأين الوهم [1]

أليس ما رأيته فى المنام هو شبيه أو صورة لما أراه فى اليقظة

إذا يجب الاعتراف بأن جميع الصور التى نراها فى أحلامنا ، حتى ولو كانت خيالية ، لها أساس بسيط من الحقيقة كثره الوهم وخلق منه أنواعا ، وصنعه الخيال وصنع منه صورا وألوانا [2]

المرحلة الرابعة

٤ — وإلى هنا يؤمن ديكارت بأنه مع هذا وذاك حقائقه البسيطة ، وكل ما كان يعتقده حقا ، فكيف لا يتسرب إليه الشك فيقول

ربما عند جمعى ٢ + ٢ = ٤ يقدرنى على الخطأ الإله الذى أومن بقدرته من صغرى ، بينما أعتقد عدمه أو بالعكس ، لهذا أحسن الافتراض ، وخدع نفسى بأن كل آرائى كاذبة ووهمية ، فيصبح اعتقادى القديم كاعتقادى الجديد ، كلاهما وهم وضلال ، فيبطل تحكم القديم فىّ ، وأصبح خلوا من كل شىء

إذا لا شىء ، لا سماء ، لا هواء ، لا أرض لا

(١) « تأملات ص ٣٨ »
(٢) « تأملات ص ٣٩ — ٤٠ »

وهنا أصبح غير قادر على الحكم تماما [1].

مرحلة خامسة

٥ — ولكن هذه النتيجة وهى عدم قدرتى على الحكم تماما متعبة وشاقة، وفى كل لحظة [illegible] دون أن أشعر إلى مجرى حياتى العادية، كما أن الإنسان عندما يتمتع فى النوم بخيال لذيذ، يخاف الاستيقاظ لئلا يحرمه، فيعود إلى النوم ثانية [2].

يقول ديكارت بعد ذلك

وهكذا أعود من تلقاء نفسى ودون أن أشعر إلى آرائى القديمة. خيفة أن اليقظة الشاقة التى تعقب هدوء هذه الراحة بدل أن تجلب لى بعض الضوء والنور فى معرفة الحقيقة، لا تكون كافية لإضاءة ظلمات الصعوبات التى أثيرت كلها.

إذا لا بد أن نرجع إلى الافتراض الحقيقى، ولكن ليوصلنى إلى العلم اليقينى [3].

وهنا تبدأ المرحلة الأخيرة

يقول ديكارت

مرحلة سادسة

٦ — بعد هذا فرض

أنه لا توجد حقيقة ثابتة فى هذا العالم، بل أن كل ما أراه من الأشياء يمكن أن يكون كاذبا،

(١) [illegible] ٢٣ [illegible]

(٢) [illegible] ص ٦ [illegible]

(٣) [illegible] ٢٠ [illegible]

ومادمت قد قمت أنا بهذا الفرض شخصاً فأنا إذاً موجود وكائن.

ومادمت قد فرضت وجودي وكينونتي فإذاً أنا أفكر

إذاً أنا كائن مفكر

إذاً أنا أفكر في أشياء لا تعرف إلا بالفكر وحده

لا تعرف لأنها ترى وتلمس، ولكن لأنها تفهم وتدرك بالفكر

إذ جميع الأشياء والأجسام تدرك بالفكر لا بالحواس

إذاً يصبح فكري لا حواسي أساس العلم بالأشياء.

وهنا يصل ديكارت إلى شاطئ الأمان، فيعتصم بالمعرفة، ويعود فيبني يقينه[1]

---

(١) « [illegible] » فقرة ٢ و٣ و٥ و١٢ « تأملات »

ح — شك الغزالى وشك ديكارت وإيمانهما

١ — من البديهى أن كلا من الغزالى وديكارت قد عرف نظرية الشك قبلا .

٢ — ومن البديهى أيضا أن الغزالى شك فى التلقينيات ، وفى المحسوسات ، والضروريات ، كما شك ديكارت ، ولو أن سيرة كل منهما فى إثبات هذا الشك وممحصته ، قد تفاوتت تمام التفاوت كما ظهر لك مما سبق

٣ — ثم زاد ديكارت بحثه إيضاحا عند ما قال

قد يكون لله دخل فى إثبات الحقائق وقلبها ، فقد تكون مستنتجاتى صحيحه بينما يقدرنى الله على فهمها كخطأ ، وقد تكون خطأ بينما يقدرنى الله على فهمها كصواب .

٤ — وكما رأيت فى المرحلة الرابعه أصبح ديكارت غير قادر على الحكم على الأشياء ، فوصل الشك فى كل شىء لديه إلى القمة كما حصل عند الغزالى تماما .

٥ — ورأيت أيضا كيف عثر الغزالى فى إثبات الشك ، وكيف سار ديكارت السيره المفهومة الطبيعيه فأعطاك تفكيرا متماسك الحلقات .

٥ — أما كيف خرجا من المأزق الشكى ، وكيف نزلا من لقمة

٧ عدرا

العلية والحذر من القضايا الشاهقة، فهذا ما دعى به ديكارت العراقي قد سبقه وعدت منهما طرفهما كل مبتعده

١١ [illegible] الحكم لدى [illegible] وديكارت

وكذلك نستمر كيف نرى أن ميزان الحكم على الحق لديه هو الدين، هو الأصول الدينية

فرأى حين [illegible] الحق مع الدين وبضرورته

وصاحب هذا الحق مسلم مؤمن

ورأى الحق وهو مسلوب [illegible] مختلف مع الدين وضرورته، وصاحب هذا [illegible] ملحد وزنديق وكافر

وهو في هذا شأنه شأن المتكلمين، كما فهم من [illegible] الأسئلة، ويبين في عدم كتبه أي كتب من هؤلاء [illegible]

أما عند ديكارت فميزان الحكم لديه هو منطق الرياضيات، هو مقدمات ونتائج، ولا يهمه بعد ذلك أن تواضع الأصول على النتيجة، أو يكره [illegible] الدين، أو حين [illegible] وتعاليم [illegible]، وكلام هذا يجب أن نتمسك به، ولا [illegible]

١٥ [illegible] وديكارت [illegible]

ولاحظ كذلك أن طريقة كل من [illegible] ديكارت و[illegible] مغايرة لهذا الأثر، وهي كلاهما من [illegible] فكير وبصر، فديكارت رجل الرياضة التي تعرف المقدمات الدقيقة، والمستنتجات أدق [illegible] وأرى [illegible]، فهو

لا يمكن أن يكون إلا هكذا

تفكير منظم، دقيق، منتج، وموصل، وحاسم

أما الغزالي فله من بيئته ومن نشأته في شتى البحوث وتعمقه في

وهاد المعارف والعلوم، ومن تعوده على الرياضيات التي ساعدت على

تنظيم فكره وترتيب مقدماته وتوثيق الصلة بين الدليل والنتيجة

الغزالي بسبب كل هذا [illegible]، وشفيع ليس لمثله شفيع

١٦ – [illegible] بين الغزالي وديكارت

أما في تدعيم الشك بالرؤى في المنام، فقد رد ديكارت على الغزالي

[illegible] فقال

إننا نعرف [illegible] الصور التي نراها في أحلامنا،

حتى ولو كانت [illegible]، [illegible] من [illegible] لوهم،

وضخّمه الخيال

١٧ – [illegible] الغزالي ومنطق ديكارت

أما كيف رجعت نفس الغزالي إلى الوثوق بضروريات

فقد كان ذلك بسبب نور قذفه الله في نفسه

ثم إن هذا النور أو ذلك السبب، بعيد عما [illegible] الناس في

حياتهم، فإنه قد ركب في عقولنا، وأودع بين نفوسنا تفكير

منطقي، وأسلوب للفهم، وطريقة للبحث والاستقصاء، وما طلب منا

أن نستعمل سواه

وذلك خلاف ديكارت فقد خاض في الحقيقة الإنسانية ونزل إلى

مستوى الطبيعة البشرية، وما هو إلا [illegible] حتى وصل

إلى الشك في كل شيء، وحين أحس أنه غير قادر على الحكم ثابتاً».

ولكن هذا متعب وشاق، وفي كل سن [illegible] دون أن أشعر إلى مجرى حياتي العادية، وكذلك أعود من تلقاء نفسي، ودون أن أشعر [illegible] إلى آرائي القديمة.

من يسمع هذا ولا يحس أنه مع ديكارت

من يسمع هذا ولا يحس حسه وشعوره

من يسمع هذا ولا يحس الشك في نفسه [illegible] ولكن اليقين [illegible]

[illegible] وحده في الشك [illegible] مما يخرج منه وحده، [illegible]

١٨ — [illegible] وديكارت

[illegible] إذا كان [illegible] فهل نحن [illegible]

[illegible]

وإذا كان [illegible] على الشك واليقين، [illegible] في [illegible]

[illegible] الشك [illegible] ترى أن [illegible] الشك، [illegible] إلى نفسه، وهي [illegible] الإلهي [illegible]

[illegible]

بدأ فما كان أحراه ألا يأتى بنظرية الشك ويتعب نفسه فى إيرادها وفى إثباتها ، وما كان أجدره بأن يعلن لنا هذه النتيجة (وهى النور الإلهى الذى أرجع إليه اليقين) كأنها هبة من الله رب عبده ، ونعمة من سماء ... فإنه كما تقدم كان قد قرأها وعرفها من كلام الصوفية ومن لمحات الواصلين

هذا ... من ... نرى ديكارت قد استعمل هذه الفرضيات ، وسمح لنفسه بإيرادها ... اضطر إليها اضطرارا ، ... والحقيقة ...

وفعلا كان كذلك ... فيسلك ... حقيقة ... معقولة مفهومة

... السابق « الديكارتى » ... الصوفية والموت اللتين ...

وحدة الفكرة بين الغزالى وديكارت

... هذه ... جانبا ، وولينا بحثنا نحو الوحدة الفكرية بين السيرة ... من الغزالى وديكارت ...

ان ديكارت ... شك ، ثم سار فى ... ليقين ... سيرة فكرية ... متماسكة ...

أما الغزالى فقد سار أولا سيرة سفسطائية مبنية على المغالطة ، كما رأيت فى مناقشته المحسوسات ، والأوليات ، والرؤى ، ليثبت الشك ، مستنجدا بكلام الله جل جلاله حينا ، وبكلام محمد عليه

السلام حيناً آخر

وأخيراً عندما أراد إحلال حقيقته محله [illegible] سيره صوفية.

٢٠ — الغزالي متكلم

والواقع أنه كعادته دائماً وهي عادة المتكلمين، من أنهم يثبتون العقائد الدينية بالآراء العقلية، والحجج المنطقية. أي أن النتيجة موجودة سلفاً لديهم، وعليهم فقط إحضار المقدمات، وجمع الأدلة من هنا والبراهين من هناك.

٢١ — نور العقل فكرة صوفية

فالغزالي في الواقع كان كذلك آمن بفكرة الصوفية وهي: «أن العقل نور يقذفه الله في القلب».

فأراد أن يلبس هذه الفكرة لبوس الفلسفة، فيستلف نظرية الشك السفسطائية وصورها، [illegible] فيها ليلبسها لبوس الحياة، ثم يرتقها بالافتراضات طوراً، وبكلام الرسول حيناً، وبقول الله أحياناً.

وأخيراً يأتي بنظريته الصوفية يصفها [illegible] ولو تنافرت الألوان وغايرت الأنواع.

ولو تباعدت حلقاتها، وكان يخرج غير مؤتلف مع صدرها!!

٢٢ — ورود على وأشواك هناك

لهذا كله أضطر إلى أن أنسى أن ديكارت شك حقيقة، لأن على شكه أسس المعرفة، ولأن شكه العمق الإيمان واليقين، ولأنه منسجم مع نفسه وتفكيره وما يحيط به.

أما الغزالي فإنه افترض أنه شك، لأنه علم، قرأ [illegible] نظرية الشك السفسطائية.

ويفترض أنه وصل إلى اليقين لأنه عثر على أن هناك طريقة

اليقين الصوفية.

وأنّى عليهما لا يؤلف بين حرائهم، ويوفق بين حقائقهم،

ولكن تمعن في التمعد بينهما، فيقف عند الافتراض، ويخوض جهد

أصوله يثبت الشك، ويفترض ويخوض كذلك حتى يثبت اليقين

جداً [illegible] مع معالجة وسفسطة [illegible] الشك، ثم تركب جاري،

و [illegible] خطرة و [illegible] أنه وصل إلى اليقين، مردد

كله الصوفية [illegible] ترصدوا [illegible] في [illegible] دهركم نفحات

ألا فتعرضوا لها ».

٢٣ – الشك لا ... أو ... أن ... إلى ... شك

والآن وبعد أن قدمت بين يديك كل ما تقدم لا يمكن أن

[illegible] ونعلل

(١) [illegible] العراقي [illegible] يذكر حكاية الشك وليس ليجمعها

[illegible] حيث [illegible] التاريخ الفكري

وليجملك أيها القارئ، [illegible] مقدم من الضلال [illegible] أنه

سار في دراسة وتحديد المذاهب الفكرية سيرة فلسفة حرة،

ولذلك شك في كل شيء، وما قدمه من لوم والضلال غير ضلال

الصوفية ويقين المتصوفين

وليجملك أيضاً على أن تؤمن أنه في هذه الدراسة وفي ذلك

البحث، كان رجل الفكر الحر الذي لا يؤمن إلا بالضروريات،

فاطّرح وراءه ظهريا كلام المتكلمين، وازدرى تعاليم الباطنيين،

ومعه نظريات المتفلسفين، وأخيراً دخل في زمرة المتصوفين

(ب) وأن الطريقة التي عالج بها إثبات الشك هي طريقة سفسطائية، والتي عالج بها صرعه، وإحلال اليقين محله هي طريقة ومنهج صوفي، وإن لأسباب أخرى غير هذا، فقد أكد لنا أنه قام بذلك بين تجربة الشك وتجربة اليقين بعد دراسته للصوفية. ومن المؤكد أنه درسهم بعد أن اعتزل الناس للتصوف، وبعد أن ترك بغداد، وبعد أن فرغ من دراسة علم الكلام، وبعد أن ناقش الفلاسفة، مع أنه يريد أن يفهمنا في كتابه المنقذ، حين تكلم عن تجربة الشك وتعقبه، أنه شك في مفصل حياته، وقبل دراسته علم الكلام والنظر في بقية العلوم كما سبق ذلك بيانه.

(ج) ولسنا يمكننا أن نسلم بأن الغزالي قد سلك مسالك الشك واليقين، وقد عبر عنهما ووصفهما كما رأينا

فتجربة الشك التي يحسها هو وحده، وعلى الأقل على الصورة الخاصة التي وجدها هو، وعرفها هو كما عرفها الناس جميعاً من السفسطائيين

وتجربة اليقين التي عالجها ووصفها، لم توجد أصلاً، وعرفها هو كما عرفها الناس جميعاً من المتصوفين

وهذا كله يدلك على أن هاتين التجربتين لم تصوراه حقيقة، ولم تنبعا من نفسه، وإنما هو عرفهما وتفهمهما وطبق عليهما صورة المعنى والحواري والأشعري، لا أكثر ولا أقل، ليقدم بهما كتابه

« المنقذ من الضلال ، والموصل إلى ذي العزة والجلال »

يقول إنه وهو في مقتبل حياته (وعلى قرب عهد بسن الصبا) ساورته ضربة الشك ، ومرض بسبب ذلك شهرين كاملين ، وهذا يدل على أن الغزالي يريد أن [illegible] أن الشك كان في مقتبل حياته ، وأنه مرض بسبب ذلك شهرين

وهذه حادثة مادية تاريخية تؤكد [illegible] الشك لأنه تصنعه في العلوم ليبحث من جديد وعلى ضوء جديد

ولأنه كما قال في « المنقذ » عند دراسته لهذه العلوم : إنه ألف فيها « كذا وكذا » وهي تستغرق مدة معينة ، لها تواريخ محدودة [illegible] فكرة [illegible]

(٥) تقول إنه وهو مقتبل حياته ساورته ضربة الشك ، ومرض شهرين كاملين ، وهو تائه في [illegible] وأخيرا رجع إليه العقل والإيمان

هذه [illegible] النفس ، و[illegible] ، هي عند المفكرين والفلاسفة [illegible] وطبيعي أن يكون ذلك [illegible] في [illegible]

أولا [illegible] أسلوب [illegible] وعدم التسليم بالأقوال [illegible] ، والآراء المشهورة ، والأحاديث [illegible] الموثوق بها ، ثم [illegible] مع [illegible] الشك ، و[illegible]

باليقين ، الذي وصل إليه والذي جعله لا يؤمن إلا بالضروريات فقط

ولكن مع كل هذا فنحن نرى في الإحياء وفي غيره مما كتبه بعد تلك الحادثة الخطيرة ، أنه يموج بالآراء غير الممحصة ، والأحاديث غير المصححة ، والحكايات غير المعقولة . وما كان يوردها ، ولا يقبل أن كتبه بعد أن مر بذلك لتحدث بأي حال من الأحوال

ثانيا — وكان لا بد أيضا من أن يكتب عن تلك الحالة ؛ حالة الشك التي ساورته « حينئذ » ، وكيف من الله عليه بإحلال اليقين ، وذلك لتكون سجلا لما حدث ولتفسح طريقا لأحد المتشككين يسيرون على منهجه ، وسبيلا إلى جمهور المتفلسفين والمحدثين يهتدون بضوئه وأقباسه .

ولكنه لم يفعل هذا مع أنه كتب في الإحياء ، وفي غير الإحياء عن أحوال الغرور ، وعن ضروب التشبه ، وعن أشياء كثيرة هي دون حيرة الشك واليقين في الأهمية والخطورة بكثير وكثير

فلا بد لنا كل هذا من أن تجربة الشك واليقين ، لم تثره إلا بعد أن كتب هذه الكتب جميعا . ومعنى ذلك أنه المنقذ فقط ، وبعبارة أدق إنه ما فكر فيها ، لا حين أراد كتابة تاريخ حياته ، أي لا على أنها رواية لما حصل له حقيقة ، بل على أن هذا ما كان يجب أن يكون

(و) وأخيرا يقول الأعرابي نفسه

« إن المقصود من عرض كل هذه الحكايات » المنقذ السابقة « هو أن يعمل كمال الحذق في الفن حتى ينتهي ... هذا

الحد » إلى طلب ما لا يطلب »[1]

هل تصدق بعد هذا الكلام، هو كلام الغزالي عنه تمثيلا لمحنته في تجربته للشك والمعرفة ؟

هل نريد بعد ذلك إعلانا وتصريحا أكثر من أنه كتب ما كتب إرشادا لغيره حتى، وحصل على [illegible] كل الحد في نفس المعرفة، والوصول إلى الحق ؟

(١) «منقذ ص ١٥»



الباب الثالث

كيف بحث الغزالي عن الحق؟ وكيف نقد علم الكلام ورفضه؟

١ — [illegible]
٢ — [illegible]
٣ — [illegible]
٤ — [illegible]
٥ — [illegible]

بحثه عن الحق وزمنه علم الكلام ونقده المتكلمين

١ — حصر الحق في الفرق الأربع

بعد أن شفاه الله من مرض الشك، وقذف في قلبه باليقين، أخذ في البحث عن الحقيقة، فوجد أنها لا تعدو أن تكون لدى المتكلمين، أو الباطنية "أصحاب التعليم" أو الفلاسفة، أو الصوفية.

وقد أخذ نفسه بالبحث في دراسة هؤلاء، فبدأ بدراسته مبتدئاً بعلم الكلام، ثم بطريق الفلسفة، ثم بتعليم الباطنية، وأخيراً بطريق الصوفية (1).

٢ — كيف وثق من وجود الحق عند إحداها؟

ولكن هل كان الغزالي واثقاً من أن يكون منتهى بحثه إلى ذلك؟ كان كذلك وكما سنرى أنه

يريد أن يبحث عن الحق

( ) [illegible] عنه في هؤلاء [illegible]

ذلك أنه لا يعرف سواها

[illegible] أن الحق لا يعدوها (2)

ذلك أنه عرف فيما بعد أن الحق الذي اعتنقه هو عند الصوفية

لا غير، وأنه يريد حمل مقدمات ضرورية [illegible]

---

(1) المنقذ ص [illegible]

(2) المنقذ ص [illegible]

هـ) وإذا لم يتطرق إلى ذهنه أنه قد يجد الحق فيما أشكل،

مهدته إليه نفسه، وأسلوب خاص به. ومعيار أسلوب الجميع

ذلك أنه من أعماقه قد شذ الحق عنهم، فلا يبقى في

دركه معصوم (١)

في أنه حكم على نفسه بالعجز عن إدراك طريق للحق، غير

طريق من أخبره سواه

فهو إذ قد حدد لنفسه الطريق الذي يجب أن يسير فيه، والذي

مهده غيره

إذا هو مقلد معتصم بالتلقينات!

وهو حين يقلد يعلم ويجزم بأنه مقلد!

ولا يريد إلا أن يقلد

وهو واضح وفي غير حاجة إلى تعليق

٣ — دراسته علم الكلام وتزييفه

وهنا فهو يقول

ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وصنفت فيه، فصادفته علماً

وافياً بمقصوده، من حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها من تشويش

أهل البدعة

ولكن اعتمدت طائفة المتكلمين في ذلك على مقدمات

تسلموها من خصومهم واضطرهم إلى تسليمها إما

التقليد، أو إجماع الأمة، أو مجرد قبولها من الأخبار، أو القرآن

(١) المنقذ ص ١٦

« ولكن هذا قليل النفع في جنب من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً أصلاً » ثم يقول بعد ذلك .

« ولهذا لم يكن الكلام في حقي كافياً ، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً »[1]

ثم إنه قد حصل للغزالي بسبب علم الكلام ، ما استفاده من صفات الخبرة ، ولكن كان حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض الأمور ، التي ليست من الأوليات »[2]

ومعنى ذلك أن الغزالي بعد أن درس علم الكلام ، ووقف عليه لم يجد فيه ما يشفيه في شبابه ، ولم يرتض رأي أئمته من بين شيوخه .

١ — انظر [illegible]

لماذا؟

لأن رجاله مقلدون !!

ب — ولأنهم يسيرون وراء إجماع الأمة الإسلامية

ح — ولأنهم يقبلون آي القرآن لمجرد أنها من كلام الله

د — ولأنهم يتمسكون بأخبار محمد لمجرد أنها من حديث رسول الله

ما هذا؟

ثار الغزالي على التقليد ، ولم يعتبره مصدراً من مصادر اليقين !!

ثار الغزالي على إجماع الأمة لأنه لم يشف غلته ، ولم يجد

---

(١) « منقذ ص ١٦ »   (٢) « منقذ ص ١٨ و ١٩ »

يده في شعاع الحقيقة و [illegible]

ولن [illegible] في [illegible]

ولكن

كيف نثور على كتاب الله، وكلام محمد، فهو كل الكلام الذي من نفسه قرآن والحديث في حقه كافي. ولا [illegible] شيء

فهل [illegible] القرآن [illegible] الذي [illegible] في صدره [illegible] الذي [illegible] والذي [illegible] الصدر [illegible] الحقيقة [illegible] في [illegible]

[illegible] الذي [illegible] الأمر ليس هو [illegible] الذي [illegible] الكلام من قرآنه، والذي [illegible] أنه [illegible] فوق [illegible] في [illegible] على [illegible] الحق [illegible]

والله الذي [illegible] في [illegible]

إنه [illegible]

[illegible] على ذلك النور [illegible] هو ذلك النور الذي [illegible] فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام

ذلك النور هو الذي [illegible] الإسلام [illegible] عن معنى الشرح فقال

هو نور [illegible] مشرق [illegible] (١)

إذ [illegible] ذلك النور الذى أتى به العراقى ، والذى [illegible] به

بعين ، هو [illegible] المسلمين ، و[illegible] محمد ، و[illegible] القرآن

وهو نفس النور الذى شع من كتاب الله ، ومن كلام محمد ،

والذى اعتصم به المتكلمون

[illegible] من العراقى [illegible] ، ونقض ذلك

أن [illegible] النور الذى ذكره الصوفية وهو شيخهم ، ونور

هو النور اعتصم به المتكلمون ، وهو [illegible]

فهو قد نسى [illegible] لأنه [illegible] يعتقد [illegible] شيعه ،

ونقض نفسه [illegible] لأنه [illegible] من [illegible] أعداؤه

٦ [illegible] وأخيراً [illegible] لا يمكن أن نقول

[illegible] كل [illegible] به العراقى [illegible] من اعتراضات الذى بحثه عن الفرقة

[illegible] ، وعن [illegible] الذى [illegible] فى علم الكلام ، وعن [illegible] إنما هى

اعتراضات كاعتراضاته [illegible] نظريه [illegible] سواء بسواء

[illegible] مفكر فى هذا [illegible] ، ولم [illegible] ذلك [illegible] ، لا

[illegible] فى [illegible]

ولهذا لم يواته الفكر السليم ، والمنطق المستقيم « فى هذا

الموضع » ولو واتته الألفاظ أرسالا ، وانهالت عليه الجمل انهيالا ،

مُشتتة من هنا ومن هناك ، فى تناقض عجيب ، وتباين أعجب وأغرب!!

ثم ولو . .

---

(١) « [illegible] ص ١٤ »

الباب الرابع

دراسة الغزالى الفلسفة وتسفيهه المتفلسفين

ا — تاريخ هذه الدراسة كما اعترف به الغزالى

ب — تحليل هذه الاعترافات

١ - تاريخ هذه الدراسة كما عرّفه الغزالي

[illegible] الذي [illegible] وبقي الذي [illegible] كلام [illegible] الفلسفة [illegible]

[illegible] (١)

[illegible] (٢)

[illegible] حقاً وصحيحاً (٣)

---

(١) [illegible] (٢) [illegible] (٣) [illegible]

وعلم يقيناً كذلك: أن ردّ هذا المذهب — مذهب الفلسفة — قبل فهمه، والاطلاع على كنهه، رميٌ في عماية.[1]

وعلم أخيراً أنه لم يوجد أحد من علماء الإسلام صرف همته وعنايته إلى ذلك[2]

٢ — كيف درس الفلسفة ومتى وأين وكم وماذا رأى وماذا حكم عليهم ؟

لهذا أمسى الغزالي بكل ما تقدم يحدث قائلا

« وشمرت عن ساعد الجد، في تحصيل ذلك العلم، من الكتب بمجرد المطالعة ومن غير استعانة بأستاذ

وكان ذلك في أوقات فراغي من التصنيف، والتدريس، في العلوم الشرعية وكنت ممنواً بالتدريس، والإفادة لثلاثمائة نفر من الطلبة.

وكان ذلك ببغداد.

فأطلعني الله بمجرد المطالعة في هذه الأوقات المختلسة على منتهى علومهم في أقل من سنتين

ثم لم أزل مواظباً على التفكير في ذلك العلم بعد فهمه، قريباً من سنة أخرى، أعاوده وأردده، وأتفقد غوائله وأغواره، حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس، وتحقيق وتخييل، اطلاعاً لم أشك فيه

وأخيراً آمنت بأنهم مع كثرة أصنافهم يلزمهم سمة الكفر والإلحاد، حيث أن الكل مجانب للحق الذي ينشده، بعيد عن

(1) « منقذ ص ٢١ ». (2) « منقذ ص ٢١ ».

الإيمان الذى يبحث عنه ، وإن تفاوت الأوائل والأواخر ، فى القرب منه والبعد عنه »[1]

إلى هنا انتهت حكاية الغزالى عن الفلسفة

لم درسها ؟ وكيف ؟

ومتى وأين ؟

وكم ؟ وعلى من ؟

وماذا رأى ؟

وهذا حكمه عليها وعلى الفلاسفة جميعا

هذه قصة فلسفته ، وتلك اعترافاته عنها

فما نصيبها من الحق ، وما نصيبها من الواقع

هذا ما سنتحدث عنه الآن فيما يلى

هل درس الغزالى الفلسفة ليرد على الفلاسفة ، أو درسها

ليهدمها

(٣) «منقذ ص ٢١ و ٢٢» .

ب – تحليل هذه الاعترافات

فأما ما يؤيد النظرية الأولى وهي [illegible] الغزالي درس الفلسفة ليعثر على الحقيقة – فيمكن أن نلخصه فيما يأتي

٣ – [illegible] درس [illegible] على [illegible]

[illegible] الغزالي [illegible] [illegible] [illegible] في هذه الخولة الدراسية، [illegible] علم الكلام و[illegible] الفلسفة وغيرها من العلوم، إنما هو باحث عن الحقيقة[1]

و[illegible] [illegible] [illegible] هو [illegible] و[illegible] من الله في [illegible][2]

و[illegible] [illegible] عن [illegible] و[illegible][3]

و[illegible] [illegible] في [illegible] علم الكلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][4]

وهذا [illegible] "De Boer" [illegible] هذه [illegible] [illegible]

[illegible] الغزالي [illegible] [illegible] [illegible] طريقا للخروج من الشكوك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وحقيقة [illegible][5]

هذا [illegible] [illegible] [illegible] "De Boer" وهي

(١) ([illegible]) (٢) [illegible]

(٣) (منقذ ص ٥) [illegible] و [illegible]

(٥) T. J. de Boer in Geschichte der Philosophie im Islam 1901 pa. 138-150

٤ — أو درس الفلسفة لهدمها

كلمات عامة، وجمل غير محدودة

وأما النظرية الثالثة وهي أن الغزالي درس الفلسفة ليهدمها.

فإننا نعتقد أن نقرأ [illegible] الاحظ

[illegible] في مقدمة «مقاصد الفلاسفة» وهو الكتاب الذي [illegible] قبل التهافت، والذي [illegible] واحدة»

يقول:

«[illegible] كلاما [illegible] في الكشف عن تهافت الفلاسفة وتناقض آرائهم [illegible]، أن أقدم كلاما وجيزا، مشتملا على حكاية مقاصدهم [illegible] من غير تمييز بين الحق والباطل، [illegible] حكاية مقرونة [illegible] من أدلتهم»

وهذا كان [illegible] في هذا الغرض [illegible] في ذلك الحرج

ب — ولاحظ [illegible] أنه يؤكد في التهافت، أنه [illegible] [illegible] [illegible]، و[illegible] أفكار الفلاسفة، والتشويش عليهم، و[illegible] آرائهم، و[illegible] في [illegible] الأول

وحين [illegible] في هذا الكتاب [illegible] مذهبهم، و[illegible] في وجوه أدلتهم [illegible]، و[illegible] للذب عن مذهب معين، فيخرج [illegible] عن مقصود الكتاب، [illegible] أصحاب دعواته، [illegible] المذهب الحق، فسنصنف فيه كتابا بعد الفراغ من هذا إن ساعد التوفيق إن شاء الله، وسنسميه «قواعد

العقائد» ونعني فيه بالإثبات كما عنيت وهذا الكتاب بالهدم»(١)

ح - وأنه قال أيضا في مقدمة التهافت بالقسم الثالث

«وذلك أنا لا ندخل في الاعتراض عليهم (الفلاسفة) إلا دخول

مطالب منكر، لا دخول مدع مثبت، فنكدر عليهم ما

اعتقدوه مقطوعا به»(٢)

وقال أيضا في [illegible] الله [illegible] العالم

[illegible]

[illegible]

[illegible] هذا الكتاب [illegible]

[illegible](٣)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الذين [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

مجهودات الغزالي الثلاثة

ولأنه عندما تولى التدريس في سنة ٤٨٤ هـ بنظامية بغداد للعلوم الشرعية والأصولية والكلامية، أحس بأنه مطالب لأنه من المتكلمين بالدرس، ولأنه سيد ذلك النفر المفقود، نظر علم الكلام، وخليفة أستاذه — إمام الحرمين — أحس بأنه مطالب بسد هذا النقص، وبرد هذا التهديد والتناقض في حجج المتكلمين، الذين يدعون الدعوة ويدعمونها بحجج سليمة، وبراهين واضحة مستقيمة، فقام بمجهودات ثلاثة

أولاً: مجهوده [illegible]

[illegible]

[illegible] سنة ٤٨٦ هـ

ثانياً: مجهوده النقدي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لا عمر[1] [illegible] وكان ذلك في [illegible] محرم سنة ٤٨٨ وكانت سنه حينئذ ٣٨ سنة، أي [illegible] خرج من بغداد [illegible] نحو أحد عشر شهراً لأنه خرج في ذي القعدة سنة ٤٨٨ [illegible] النفسية، التي [illegible] على أثرها من بغداد [illegible] أولها كان [illegible] سنة ٤٨٨ هـ وهذا [illegible] 'De Boer'

---

(١) [illegible] ص ٥٠-٥٢ [illegible]

[illegible] [1]

ثالثاً: محمود [illegible]:

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وكان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الحقيق [illegible]

[illegible] الفلسفة [illegible]

[illegible] كما قال [illegible]

[illegible] وكذلك في [illegible]

[illegible] [2]

ولا عجب أن يكون هو [illegible]، الذي عرف كيف يعالج [illegible]، فسكت الفلاسفة، [illegible]، حتى يكون جديراً أن يصبح صارع الفلسفة، [illegible]

[2] [illegible] الفلسفة [illegible]

(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٣٨ [illegible] De Boer

(٢) [illegible]

ولهذا نجده في حياته يقول إنه ألف هذا الكتاب « قواعد

العقائد » الذي ذكره في [illegible] والذي هو الحلقة الختامية

لمجهوده [illegible]

يقول « [illegible] (الأشعرية)

عن السلف .

مع ملاحظة [illegible] محمود [illegible]

[illegible]

« لا يمكن [illegible] العوام [illegible]

تعصبهم [illegible] علم الكلام [illegible] » [1]

٧ [illegible] وبعد هذا [illegible]

في المقدمة [illegible]

الشق الأول [illegible] الكلام ، بحث عن

الحق الصريح [illegible] وهذا [illegible]

الشق الثاني [illegible]

وبعد النقض الذي [illegible] المتكلمين ، فيصحح [illegible]

الفلاسفة ، [illegible] مع الحق الصريح ،

والواقع الذي لا ريب فيه

[illegible] من هذه الناحية [illegible] ولو لم يرض به بعض

كبار المستشرقين [2]

(١) [illegible] (٢) [illegible]

[illegible]

الباب الخامس

مجادلة الغزالى مذهب التعليمية

مجادلة الغزالي لمذهب التعليمية

بعد أن انتهى الغزالي كما [illegible] الأسدية جميع موسومون بالكفر والإلحاد، وأن الحق الذى [illegible]، والفريق الذى [illegible] عنهم [illegible] عن الأرض.

وبعد أن انتهى من [illegible] ورتبه،

و[illegible] ليس مستقلاً بالإحاطة بكل شيء، ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات(2)».

وبعد أن انتهى من كل ذلك، [illegible] بدأ [illegible] دراسته لمذهب التعليمية [illegible]

«[illegible] وكان حينئذ قد نبغت نوبة التعليمية، وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة [illegible] الأمور من جهة الإمام المعصوم، القائم بالحق — أي لا من جهة القرآن والسنة والعقل — فعنّ لي أن أبحث عن مقالاتهم، لأطلع على ما في كتبهم»(3)

«وقد نفذ إليّ أمر [illegible] من حضرة الخلافة، بتصنيف كتاب يكشف حقيقة مذهبهم، فلم يسعني مدافعته، وصار ذلك مستحثاً من خارج، ضميمة للباعث الأصلي من الباطن»(4)

(1) [illegible] ص ٣٣ و ٣٤ (2) [illegible] ص ٤٤ و ٤٥
(3) [illegible] ص ٤٥ (4) [illegible] ص ٤٦

يقول أيضاً :

٢ — من أين درسها وعرفها ؟

« فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم[١] ».

وكان قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة . التي ولدتها خواطر أهل العصر ، لا على المنهاج المعهود من سلفهم[٢]

وكنت قد سمعت تلك الشبه من واحد من أصحابي المختلفين إليّ ، بعد أن كان قد التحق بهم ، وانتحل مذهبهم »[٣]

٣ — كيف درسها ؟

« ولهذا جمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيباً محكماً مقارناً للتحقيق

واستوفيت الجواب عنها استيفاء ، أنكره على بعض أهل الحق ، لأني أبالغ في تقرير حجتهم .

ولكني اضطررت إلى ذلك ، لأن هذا الصاحب السابق المختلف إليّ ، حكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم ، مع أنهم لم يفهموا بعد حجتهم

فلم أرض لنفسي . أن يظن بي غفلة عن أصل حجتهم ، فلذلك أوردتها ، ولا أن يظن بي أني لم أفهمها ، ولذلك قررتها[٤] »

٤ — المناقشة والنتيجة

وأخيراً يأخذ الغزالي هنا — في المنقذ — في مناقشتهم قاصراً ذلك على فكرة الإمام المعصوم مبيناً أنه رد عليهم في كتب منها :

(١) « منقذ ص ٤٥ » .
(٢) « منقذ ص ٤٥ » .
(٣) « منقذ ص ٤٦ » .
(٤) « منقذ ص ٤٥ ، ٤٦ » .

المستظهرى (فضائح الباطنية)، وحجة الحق، ومفصل الخلاف، والدرج المرقوم بالجداول، والقسطاس[1]

وينتهى الغزالى من هذه النتيجة، التى يرددها دائماً فى نهاية كل بحث له، وهى أن هؤلاء، ليس معهم شىء من الشفاء، المنجى من ظلمات الآراء[2]

فالحق الذى يبحث عنه، ليس فى إمامهم

واليقين الذى يرجوه، لا يوجد فى معصومهم.

٥ — سبب عنايته بدراسة التعليمية

وكما رأيت يذكر الغزالى فى المنقذ سببين لوضعه دراسة التعليمية، ضمن الجولة الدراسية، التى قام بها للبحث عن الحقيقة، فأصبحت هى المرحلة الثالثة فى هذه الجولة، وهو:

١ — إنه عن له أن يبحث عن مقالاتهم، ويطلع على ما فى كتبهم، فهو لديه باعث «ذاتى نفسى»

٢ — وثانيهما اتفق أن ورد عليه أمر جازم من الخلافة، بتصنيف كتاب يكشف حقيقة مذهبهم، فلم يسعه مدافعته، فأصبح عنده «باعث خارجى»

فهل نصدق السببين معاً أو أحدهما؟

وإذا كان فما هو؟

٦ — مقدمة فضائح الباطنية

هذا ما سأضع يدك لتمسه الآن، عندما تقرأ أول كتاب ألفه

---

(١) «المنقذ» ص ٥٤.

(٢) «المنقذ» ص ٥٥.

في الرد عليهم ، وهو فضائح الباطنية — المستظهري — الذي سماه باسم الخليفة المستظهر بالله ، وكان دعاية له وللخلافة العباسية . دعاية حارة قوية ، إذ مهدها اليوم في تأييد المذاهب السنية ، وتفنيد الآراء المعارضة !

وسأنقل إليك مقدمته نصها وفصها ، لتشتم منها الباعث الحقيقي ، لتلبية دعوته للجلاد والنضال ضد التعليمية ، من الوجه الذي لم يذكر سواه ، لأنه هو الحق والواقع الذي لا ريب فيه

يقول « تجيء على هذه الصورة .

« أما بعد »(١)

٧ — تشوّف الغزالي لخدمة المستظهر بالله بتصنيف كتاب في علم الدين

« فإني لم أزل مدة المقام ، بمدينة السلام ، متشوفاً إلى أن أخدم المواقف المقدسة النبوية ، الإمامية المستظهرية ، ضاعف الله جلالها ، ومد على طبقات الخلق ظلالها ، بتصنيف في علم الدين »

٨ — الأمر الدنيوي الذي يطمع فيه الغزالي

« أقضي به شكر النعمة ، وأقيم به رسم الخدمة ، وأجتني بما أتعاطاه من الكلفة ، ثمار القربة والزلفى »

٩ — تحير الغزالي في اختيار العلم الذي يريده الخليفة

« ولكني احتجت إلى التوافق ، لتخصيص الفن الذي يقع

---

(١) ص ٢١ من فضائح الباطنية السابق الذكر طبعة ليدن سنة ١٩١٦ .

موقع الرضا من الرأى النبوى الشريف ، فكانت هذه الحيرة تغيّر فى وجه المراد ، وتمنع القريحة من الإذعان والانقياد »

١٠ — أمر الخليفة للغزالى بتصنيف كتاب فى الرد على الباطنية

« حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية ، بالإشارة إلى الخادم تصنيف كتاب فى الرد على الباطنية »

١١ — المستظهر بالله يحدد المناهج وعلى الغزالى مسالك المقدمات

« على أن يشتمل الرد

الكشف عن بدعتهم وضلالتهم ، وفنون مكرهم واحتيالهم ، ووجه استدراجهم عوام الخلق وجهالهم ، وإيضاح غوائلهم فى تلبيسهم وخداعهم ، وانسلالهم من ربقة الإسلام وانسلاخهم وانخلاعهم ، وإبراز فضائحهم وقبائحهم

١٢ — خروج الغزالى من حيرة تفكيره على ضالته

« فكانت المفاتحة بالاستخدام فى هذا المهم ، فى الظاهر نعمة أجابت قبل الدعاء ، ولبت قبل النداء » حيث ولبى »

وإن كانت فى الحقيقة ضالة كنت أنشدها ، وبغية كنت أقصدها ، فرأيت الامتثال حتما ، والمسارعة إلى الارتسام حزما

١٣ — طاعة أولى الأمر أولا

« وكيف لا أسارع إليه : وأن لاحظت جانب الآمر ، ألفيته

أمر مبلغه زعيم الأمة شرف الدين، ومنشئه ملاذ الأمم أمير المؤمنين، وموجب طاعته خالق الخلق رب العالمين، إذ قال تعالى:

«أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولى الأمر منكم»

١٤ — والذب عن الدين ثانياً

«وإن التفت إلى المأمور به، فهو ذب عن الحق المبين، ونضال دون حمى الدين، وقطع لدابر الملحدين»

١٥ — والجرى وراء الشهرة والشرف ثالثاً

«وإن رجعت إلى نفسى، فقد شرفت بالخطاب به من بين سائر العالمين.»

١٦ — السر والداعى من هذا النضال

لا يزال العراقى يحدثنا فيقول:

«وأخيراً يختم هذا الكتاب، بما هو السر والداعى، وهو إقامة الدلائل الشرعية، على صحة الإمامة للمواقف القدسية، النبوية المستنصرية، بما توجبه الأدلة عقلية وسمعية»

١٧ — المعانى واضحة والمقصود أوضح

بعد ذلك أدعك تلمس وتحكم

هل نجح العراقى فى تعليمه، كما أراد أن يوهم فى اعترافه، ليعثر على الحقيقة، ضالته المنشودة، فيعتصم باليقين

فهو في هذا باحث عن الحق ، مصارع للباطل

وأنه دعي [illegible] ، ومن أخلاقه [illegible] ، وإلى

الدفاع عن [illegible] ، [illegible]

[illegible] حقيقته في اعترافات [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] الإمام [illegible] كتب يكشف حقيقة

مذهب [illegible]

[illegible] ، وفي مذهبهم ، وهل هو خطأ أو صواب ؟

كما [illegible] هذه الحقيقة

ومن [illegible] أن يكون مقصود [illegible] هو الرد عليهم ،

و[illegible] آرائهم [illegible] لأن من المدهش أن

الإمام [illegible] خلافه [illegible] ، ولا يمكن هذا

إلا [illegible] آراء [illegible]

[illegible] ولكن [illegible] وصرحه [illegible] في مقدمة

[illegible] ، من [illegible] تصنيف كتب في الرد على

[illegible] » [illegible] موضوعات [illegible] على

[illegible]

الأمر واحد

والواقعة واحدة !

والمتحدث واحد !!

١٨ [illegible]

ولكن رواية الألفاظ، ومعانيها، ومقاصدها، مختلفة تمام المخالفة،
ومتباينة كل المباينة!

فأى الأمرين يجب أن نصدق؟

هل الأمر الأول، وهو أنه «أمر بتصنيف كتاب يكشف حقيقة
مذهبهم» فقد سبب هذا غموضه في المقصد، من أنه درس
التعليمية ليبحث فيه عن الحق، وليعثر على الحقيقة؟

أو الأمر الثاني وهو أنه: «أمر بتصنيف كتاب فى الرد على
الباطنية» فسبب مع تصريحه في مقدمة كتابه المستظهرى، وأمر
الخليفة نفسه؟

نعم، في اعتقادي أن الرواية الثانية هي الأقرب إلى الحق، وذلك
لأسباب عدة:

١٩ — ترجيح [illegible]

أولاً — قرب هذا التصريح من الحادثة زمنياً، فهو له
ذاكر ومتيقن.

ثانياً — إدماجه في المقدمة التي سيطلع عليها الخليفة، في
الكتاب الذي سمى باسمه. مما يدل على أنه مطابق تمام المطابقة للأمر
الصادر منه.

ثالثاً — مطابقته وملاءمته، وانسجامه مع الظروف التي حكاها
في مقدمة كتابه.

رابعاً — تحديد «المستظهرى» الموضوعات التي يجب أن
يستوفيها العرض، والتي تؤكد أنه أراد الرد والتسفيه والمناقضة،

لا كشف وجه الحق والصواب، أيا اتفق: شأن الباحث الحر، والمفكر الطليق.

٢٠ — أشواك لا ورود بها

بعد هذا ألا يمكننا أن نقول.

أ — إن الغزالي قال الحقيقة هناك - في المستظهري - ولم يمكنه إخفاؤها تماماً هنا في المنقذ - حيث شرع ليهرب من طرف خفي، لأنه يريد أن يظهر الواقع، فيروى الصدق، ويزداد للخليفة قرباً بإظهار طاعته، وسرعة تلبيته

ويريد أن يرى العامة بأنه الرجل الوحيد، الذي لجأ إليه الخليفة، ليقي سلطانه كيد الكائدين، ولبس دعاته المسيئين

ب - وأن نقول أيضاً إنه أخفى الحقيقة (قدر المستطاع) هنا — في المنقذ، لأنه يريد أن يظهر بمظهر الباحث عن الحق، والجاري وراء الحقيقة.

فيقيننا بأن الحق رائده أينما كان، والحقيقة مقصده أين وجدت، سيما أنه الآن يؤرخ حياته الفكرية، ليخلدها بين المفكرين، ويدافع عن نفسه العلمية «التي تشرفت بالخطاب من بين سائر العالمين[1]».

إذاً فليتحدث عن نفسه هنا وفي المنقذ، لا كما كان، ولكن كما كان يجب أن يكون !!

بعد هذا نعيد السؤال السابق وهو:

هل يمكن أن نحو لغزالي الحقيقة؟

(١) «مقدمة فضائح الباطنية ص ٢٩».

ونحن متأكدون من أنك ستجيب عليه بعد الذى تقدم .

هل اختفاء الحقيقة فى اعترافات الغزالى كان قصداً ؟

ولكن هل اختفاء الحقيقة فى اعترافات الغزالى كان قصداً ؟ ؟ ؟

وهل هذا الاختفاء إذن يقدح فى الأمانة العلمية للغزالى ؟ ؟

وهذا ما سنتحدث الآن فيه .

نعم ، إننا لمسنا سابقاً أن الحقيقة اختفت فى اعترافات الغزالى ؛ ما فى ذلك شك .

ولكن قد لا يكون اختفاؤها مقصوداً لأحد أمرين

أولاً — زلت قلمه ، فلم تواته الألفاظ التى أرادها ، لتعبر عن الحقيقة ، أى أنه أراد معنى ، وأرادت الألفاظ سواه ... إلى غير ذلك من الاعتذارات الضعيفة الواهية

وهذا طبعاً ما نجل عنه أصغر قارئ بالعربية ، بل أقل كاتب ، فضلاً عن الغزالى ، صاحب الأسلوب الفحل ، واللفظ الذى لا يضارع ، فهو يضحى باللفظ ، ولا يضحى بالمعنى بأى حال من الأحوال ، لأنه هو القائل عند ما طلبت منه العناية بألفاظه وتراكيبه .

« إنى أقصد المعنى وتحقيقه ، دون الألفاظ وتلفيقها »

ثانياً — أو أنه نسى الحقيقة ذاتها ، فكتب ما كتب فى المنقذ معتقداً أنه الصدق .

ولكن هل فى المنقذ ، وفى المنقذ لا غير ، شواهد وشواهد ، تدل على أنه ذاكر للحق ، متيقظ للواقع ، ومن ذلك :

ذكره أولاً أنه درس وكتب عن التعليمية ، كأحد المذاهب التى بحث فيها ، ضمن بحثه عن الحق ، أى أنه يريد أن يؤكد : أنه لم يكتب ويهذب بدافع من المستظهر ، بل بدافع من نفسه ، لبحثه عن الحقيقة

ذكره ثانياً أنه عن له أن يبحث فى مقالاتهم ، أى أنه يريد أيضاً ، أن يؤكد لنا ، أنه لم يؤمر بالبحث ، بل عن له ذلك من نفسه

ذكره ثالثاً — أنه اتفق أن يصدر إليه أمر جازم ، فلم يسعه مدافعته

أى أنه يذكر ، ذاكر للذى وقع ، متيقظ للذى حدث ، وهو أنه أمر بحث ، ولما وجد أنه لا يمكنه مخالفة تماماً ، أراد أن يفهمنا أنه كان لديه باعث داخلى ، وافق باعثاً خارجياً ، وهو هذا الباعث الذى اتفق مصادفة ؛ مع أمر سلطانى

وأخيراً ، اختيار لفظاً ذا وجهين ، وهو « أنه أمر بتصنيف كتاب يكشف حقيقة مذهبهم » ، وذلك حتى يتلاءم مع ما أراد أن يفهمنا إياه ، من أنه درسها كباحث عن الحق ، وكمنقب عن الحقيقة ، وحتى يتلاءم أيضاً مع الحق والواقع ، الذى لا يمكنه إخفاءه ، وهو أنه درسها ، لأمر جازم من المستظهر ، لم يمكنه مدافعته

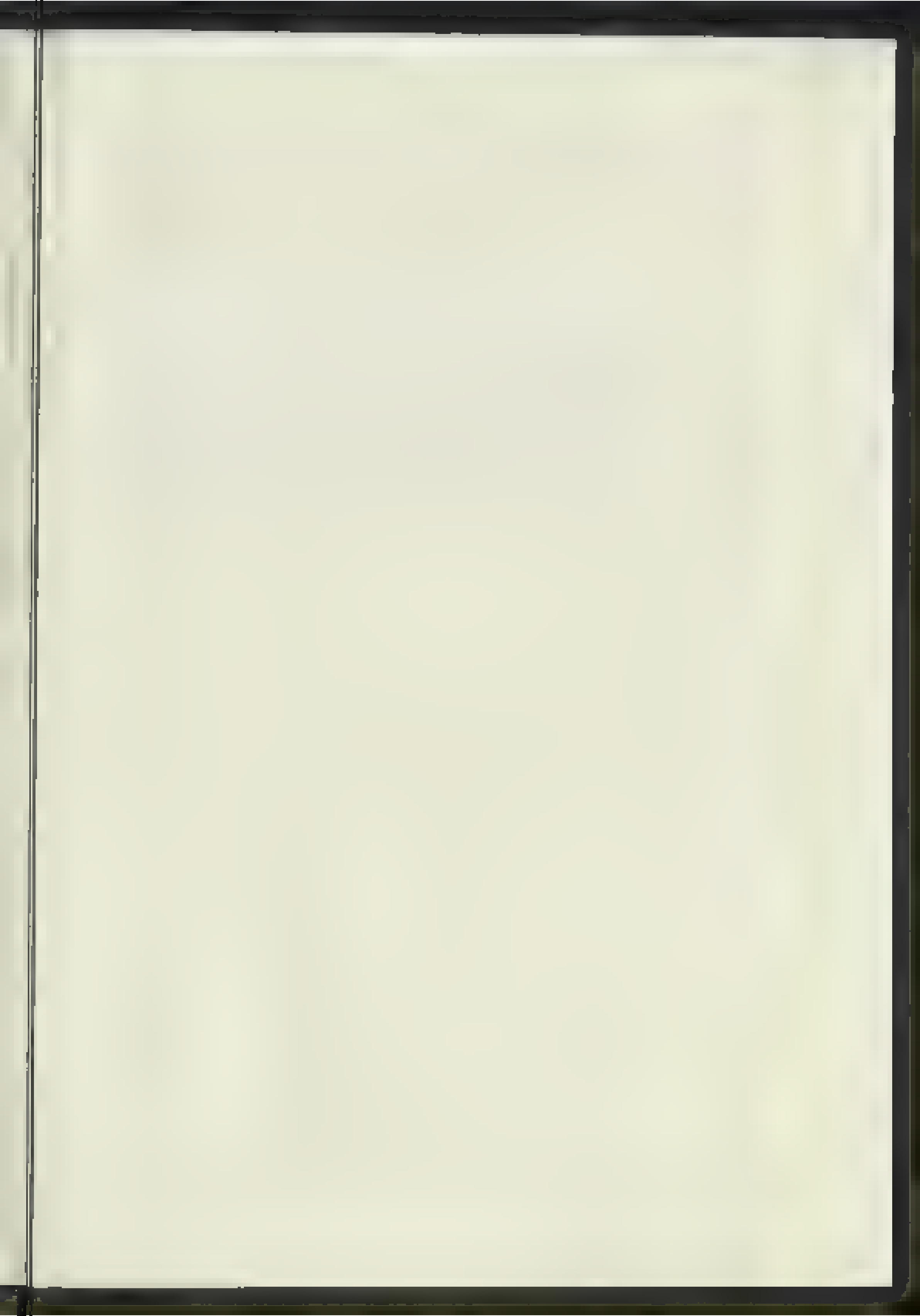
ومن الغريب أننا فى بحث مقدمة « مقدمة المستظهرى » ، نحس صراحة قوية فى التعبير عن غرضه المقصود ، وهو [illegible]

الثاني، وهو الباعث الخارجي، بعد مداه؛ بحيث لا يمكن أن يتلاءم
معه تماماً الباعث الداخلي، أي الوطني أو الخارجي، وهو صورة
من الصور، أو نسخة من الخلاف

هذه هي عقيدة المؤمنين، وهي واجبة من ثبات مستحب
عليهم، بدون عنف أو تعسف، وهم

هل اختفت حقيقة في خلافات العراق كل فصل

وهل هذه الحقيقة بدأت كل فصل، تحدث في الأمة العاملة
للعراق



الباب السادس

١ — اعترافات الغزالي الصوفية

أو لماذا اعتزل نشر العلم ببغداد وعاد إلى نشره بنيسابور ؟

١ — [illegible]
٢ — [illegible]
٣ — [illegible]
٤ — [illegible]
٥ — [illegible]
٦ — [illegible]
٧ — [illegible]
٨ — [illegible]
٩ — [illegible]
١٠ — [illegible]
١١ — [illegible]
١٢ — دمشق موطن العزلة والهدوء
١٣ — سفر الغزالي إلى الحجاز على بركة الله
١٤ — [illegible]
١٥ — [illegible]
١٦ — [illegible]
١٧ — [illegible]
١٨ — [illegible]
١٩ — [illegible]
٢٠ — [illegible]
٢١ — [illegible]
٢٢ — [illegible]
٢٣ — [illegible]
٢٤ — [illegible]

٢٥ — [illegible]

٢٦ — [illegible]

٢٧ — [illegible]

٢٨ — [illegible]

٢٩ — [illegible]

٣٠ — [illegible]

ب — كشف النقاب عما فات ، وتصويب لما هو آت

٣١ — [illegible]

٣٢ — [illegible]

٣٣ — [illegible]

٣٤ — [illegible]

٣٥ — [illegible]

٣٦ — [illegible]

٣٧ — [illegible]

٣٨ — [illegible]

٣٩ — [illegible]

٤٠ — [illegible]

٤١ — [illegible]

٤٢ — [illegible] الإصلاح [illegible]

ح — قصة العراقي الصوفية ، كما هي الحق والواقع

٤٣ — [illegible]

٤٤ — [illegible]

٤٥ — [illegible] والطلاق [illegible]

٤٦ — [illegible] العراقي

٤٧ — [illegible] العراقي من [illegible] أعماله ، كسب الشهرة [illegible]

٤٨ — العراقي [illegible] وبرحلة أخرى

٤٩ — [illegible] عند العراقي .

٥٠ — [illegible] مدة ستة شهور .

٥١ — أمر الله ، وسر الله ، [illegible] الله .

٥٢ — [illegible]

٥٣ — [illegible]

٥٤ — [illegible]

٥٥ — [illegible]

٥٦ — [illegible]

٥٧ — [illegible]

٥٨ — [illegible]

٥٩ — [illegible]

٦٠ — [illegible]

٦١ — [illegible]

٦٢ — [illegible]

٦٣ — [illegible]

٦٤ — [illegible]

٦٥ — [illegible]

٦٦ — [illegible]

٦٧ — [illegible]

د — ماذا بعد الخلوة والعزلة ؟

هل الانخراط في سلك الصوفية مرغوب فيه ؟

أو الرجوع الى التدريس المرغوب عنه ؟

٦٨ — [illegible]

٦٩ — [illegible]

٧٠ — [illegible] مرة أخرى .

٧١ — [illegible] ولا إغضاب السلطان .

٧٢ — [illegible] مرة ثالثة .

٧٣ — [illegible] خروج الغزالي من بغداد وتركه التدريس [illegible] وعودته إلى التدريس .

٧٤ — [illegible]

٧٥ — [illegible]

٧٦ — بسم الله مجراها ومرساها .

١ — اعتزالات الغزالى الصوفية كما سطرها بنفسه

أو

لماذا اعتزل نشر العلم والناس ببغداد وعاد الى ذلك بنيسابور ؟

بعد أن خبر الغزالى حال التعليمية ، نفض اليد عنهم ، لأنه لم يعثر على بغيته فى واديهم [١] ولهذا يقول بعد ذلك

« أقبلت بهمتى على طريق الصوفية ، وقد علمت أن طريقتهم ، لا تتم إلا بعلم وعمل [٢] » .

١ — كيف درس الغزالى علم الصوفية وحصله ؟

أما تحصيل العلم ، فكان أيسر عليه من العمل ، إذ ابتدأ بتحصيله من مطالعة كتبهم ، مثل قوت القلوب المكى ، ومثل كتب المحاسبى ، والجنيدى ، والشبلى ، والبسطامى ، وغيرهم [٣]

فاطلع على كنه مقاصدهم العلمية ، وحصّل ما يمكن أن يحصله ، عن طريق التعلم والسماع [٤] .

٢ — لم اضطر أن يسير فى مسلكهم عمليا ؟

أما العمل فقد ظهر له :

أولا — « أن أخص خواصهم ، لا يمكن الوصول إليه إلا بالذوق ،

---

(١) « منقذ ٥٧ »
(٢) « منقذ ص ٥٨ »
(٣) « منقذ ص ٥٩ »
(٤) « منقذ ص ٦٠ »

والحال وتبدل الصفات ، فهم [illegible] أرباب أحوال ، لا أصحاب
أقوال » (١)

وظهر له ثانيا أيضا

« أن لا مطمع له في سعادة الآخرة إلا بالتقوى ، وكف
النفس عن الهوى ، وأن رأس ذلك كله ، قطع علاقة القلب عن
الدنيا ، بالتجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإقبال
بكنه الهمة على الله تعالى » (٢)

وظهر له ثالثا أيضا

« أن ذلك كله لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه ، والمال ، والهرب
من الشواغل ، والعلائق » (٣)

وعندئذ أخذ الغزالي [illegible] في ضوء [illegible]
نفسه — في ملاحظة

أحواله « فوجد نفسه وقد انغمس في العلائق ، وقد أحدقت
به من كل جانب (٤) »

أما أعماله « وأحسنها التدريس والتعليم ، فوجد نفسه ، وهو
مقبل على التدريس ، وعلى علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق
الآخرة (٥) »

أما نيته في التدريس « فوجدها غير خالصة لوجه الله ، بل

(١) المنقذ ص ٦١ ، ٦٢ (٢) المنقذ ص ٦٢
(٣) المنقذ ص ٦٢ (٤) المنقذ ص ٦٢ ، ٦٣
(٥) المنقذ ص ٦٣

باعثه ومحركه طلبُ الجاه، وانتشار الصيت[1]».

٤ — الغزالي على شفا جرف هار

وهنا تيقن «أنه على شفا جرف هار، وأنه قد أشفى على النار، إن لم يسرع ويشتغل بتلافي هذه الأسباب، والأحوال[1]»

٥ — جهاده في التفكير، وعزمه على السفر

أخذ الغزالي بعد هذا «في التفكير مدة من الزمن، تفكير المختار لا تفكير المضطر[1]»، وهنا يقول:

«أُصمم على الخروج من بغداد، ومفارقة تلك الأحوال، أُقدم رجلا وأُؤخر أخرى، لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة، إلا وتحمل عليها جند الشهوة حملة فتفترها عشية[1]»

وصارت شهوات الدنيا تجاذبه بسلاسلها إلى المقام، ومنادي الإيمان ينادي: الرحيل الرحيل! فلم يبق من العمر إلا القليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من علم وعمل رياء وتخييل[1].

فإن لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد

وإن لم تقطع الآن فمتى تقطع؟؟

وأخيرا ينبعث الداعية، وينجزم العزم على الهرب والفرار[1]

٦ — عودة الشيطان، وأماني النفس، وخوف الفتنة

ولكن الشيطان يعاوده ويقول:

«هذه حالة عارضة، وإياك أن تطاوعها، فهي سريعة الزوال، وإن أذعنت لها، وتركت هذا الجاه العريض، والشأن المنظوم،

(١) «منقذ ص ٦٣»

الخالي من التكدير والتنغيص ، والأمن [illegible] وعن مسارعة
الخصوم ، وتاقت إليه نفسك ، ولا تصبر لك [illegible] (١)

٧ [illegible]

ولكن [illegible] لم [illegible] تلبثه [illegible] ، ودعي لأمره ، ما يقرب من ستة شهور ، وقد [illegible]
وهو يقول [illegible]

وفي هذه الشهور حدث أمر هذا [illegible] من الأصحاب [illegible] نفسي [illegible] حتى [illegible] عن [illegible] ، فكانت [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] ، فكان لا [illegible] شره ، ولا [illegible] ، فضعفت قوى [illegible]
[illegible] في العلاج [illegible]
[illegible] ، [illegible] ، والاستسلام إليه بالعلاج ، إلا [illegible] (٢)

٨ [illegible]

وهو يقول :
[illegible] نفسي [illegible] ، ولجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا [illegible] ، فدعا الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وسهل على نفسي الإعراض عن [illegible] ، [illegible]

(١) [illegible] ص ٦٤ . (٢) [illegible]

والأهل، والولد، والأحباب .

لا زال العراق [illegible]

وهم [illegible] عزمي على الخروج من مكة، [illegible] في [illegible]

[illegible] شام [illegible] وجماعة أصحاب، على عزمي في

[illegible] في الخروج من بغداد، على

عزم أن لا أعودها [illegible] (1) "

قوله

" [illegible] كلام [illegible] في [illegible] كافة [illegible]

من يجوز [illegible] أن [illegible]

[illegible] أن [illegible] في [illegible] كان [illegible]

[illegible] (1) "

[illegible] في الأ[illegible]

عن [illegible] ذلك [illegible] من [illegible] (2)

[illegible] في [illegible] في [illegible]

[illegible] على [illegible]

ولا [illegible] أن يقول

هذا [illegible] ، لا [illegible]

الإسلام ، [illegible] (3) " .

(١) فراق بغداد [illegible]

يقول الغزالي :

« ففارقت بغداد ، وفرقت ما كان معي من مال ، ولم أدخر إلا قدر الكفاف ، وقوت الأطفال ، ترخصاً بأن مال العراق مرصد للمصالح ، لكونه وقفاً على المسلمين ، ولم أر في العالم مالاً يصرفه العالم إلى عياله أصلح منه »[1]

« ثم دخلت الشام ، وأقمت به قريباً من سنتين ، لا شغل لي إلا العزلة ، والخلوة ، والرياضة ، والمجاهدة ، اشتغالاً بتزكية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما كنت حصلته من علم الصوفية . فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق ، أصعد منارة المسجد طول النهار ، وأغلق بابها على نفسي »

[illegible] وأغلق بابها على نفسي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أيضا، حرصه على الخلوة، وتصفية القلب للذكر »

« [illegible] حوادث [illegible] [illegible] ، و [illegible]

المعاش ، كانت [illegible] وجه [illegible] ، وشوش [illegible] الخلوة ، وكان

لا [illegible] إلى وقت [illegible] »

[illegible]

العوائق [illegible]

[illegible] سنوات (1)

وفي [illegible] ، [illegible] ، [illegible]

[illegible] ، [illegible] ذكره

[illegible]

[illegible] طريق الله [illegible]

[illegible] طريق ،

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مشكاة [illegible] على وجه [illegible]

به (2)

يقول

(1) [illegible] (2) [illegible]

١٧ – شروط الوصول وثمرتها في مسالك الصوفية

وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة

طهارتها – وهي أول شروطها – تطهير القلب بالكلية عما

سوى الله تعالى

ومفتاحها – الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة –

استغراق القلب بالكلية بذكر الله

وآخرها – الفناء بالكلية في الله[1]

١٨ – رأى الغزالى في وحدة الوجود

يقول

« ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات ،

حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ،

ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور

والأمثال ، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ، ولا يحاول معبر

أن يعبر عنها ، إلا واشتمل لفظه على خطأ صريح ، لا يمكنه

الاحتراز عنه »[2]

وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة « الحلول » ،

وطائفة « الاتحاد » ، وطائفة « الوصول » ، وكل ذلك خطأ ، ومن

لابسته تلك الحالة ، لا ينبغي أن يزيد على أن يقول

وكان ما كان مما لست أذكره

فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر[3]

---

(١) المنقذ ص ٦٨ . (٢) المنقذ ص ٦٩ .

(٣) المنقذ ص ٧٠ .

١٩ — ماذا نفهمه بالذوق؟

ومن لم يرزق من هذه الطريقة شيئاً بالذوق، فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم. وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الأنبياء.

وكان ذلك أول حال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل إلى جبل حراء، وحين كان يخلو فيه بربه ويتعبد، حتى قالت العرب: إن محمداً عشق ربه »[1]

٢٠ — [illegible]

(١) فالتحقق في هذه الأحوال بالبرهان هو العلم

[illegible] وملابسة عين تلك الحالة هي الذوق

(٢) والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن هو الإيمان

[illegible] المتصفين بهذه الصفات [illegible]، [illegible]

ويقولون

[illegible] كيف [illegible] »[2]

٢١ — [illegible]

[illegible] وقد [illegible] بالذوق، و[illegible]

وثالثة [illegible] الأبدان

[illegible] وأن أدوية [illegible]

العقلاء [illegible] العقل [illegible] قصد [illegible]

وكما أن أدوية الأبدان تركب من [illegible] مختلفة النوع والمقدار،

فكذلك أدوية القلوب، [illegible] من [illegible] مختلفة النوع

والمقدار كذلك، فترى السجود ضعف الركوع، وصلاة الصبح

(١) [illegible] ٧٢ (٢) المصدر ٧٣

نصف صلاة العصر في مقدار.

ولا يعرف سر هذا، إلا من شيب قلب، كما لا يعرف سر ذلك؛ إلا الطبيب مداوي البدن[1]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قول الأعرابي

[illegible]

[illegible] في هذا الوقت [illegible]

[illegible] وشرف الحق على أهله.

[illegible]

٢٣ وساوس [illegible] على نفسه [illegible]

فقلت في نفسي :

«ومتى [illegible] تنكشف هذه الغمة ، ومصادمة هذه الغمة [illegible] ، ولو اشتغلت بدعوة الحق [illegible] ، و في قلوبهم [illegible] شبهة

ولا [illegible]

[illegible] فعلا [illegible] حتى [illegible] (١)

٢٤ [illegible]

[illegible]

[illegible] الخلق

[illegible]

ولقد [illegible] على [illegible] ، و [illegible] حتى [illegible] ، ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين (٢) »

(١) [illegible] ص ٨٨ (٢) [illegible] ص ٨٩

يقول

وهذه [illegible] مشاهدات، [illegible] على [illegible] المرأة، والخروج من الزاوية، وانضاف لذلك، منامات من [illegible] متواترة، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير و[illegible] على [illegible] هذه المائة، وقد وعد [illegible] على رأس كل مائة[1]

[illegible] هذه شهادات، [illegible] هذه [illegible][2]

[illegible]

[illegible] وهذه حركة [illegible] كما [illegible] الخروج من [illegible] الأخوان [illegible] حصر [illegible] والأخوان، [illegible] للؤمن [illegible][3]

[illegible] رجوع [illegible] العلم الذي [illegible] وكان ذلك

[illegible]

قصدي وحقي .

[illegible] ، ويعرف به

سقوط [illegible]

هذا هو [illegible] حقي ، وقصدي [illegible] (1)

[illegible]

[illegible]

ولكني [illegible] لا حول ولا قوة

إلا بالله العلي العظيم ، [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (2)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(1) [illegible]
(2) [illegible]

وإن كان [illegible] كتبت ،

و [illegible] خواهدف [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] — ٣١ [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] — ٣٢ [illegible]

[illegible] ليدلك على أنه [illegible]

[illegible] على أن الله [illegible]

[illegible]

[illegible] الكلام [illegible] في [illegible] ، ولا — ٣٣ [illegible] الكلام ؟

لذاته الذي شكوه شعب ، لأن رجاله اعتمدوا على التقليد ، وإجماع الأمة ، ومجرد نصوص آي القرآن ، وأخبار محمد عليه السلام[1]

٣٤ — [illegible]

وأنه عندما حضر [illegible] في مدرسة [illegible] ، أو [illegible] في النظامية ، سنة ٤٨٤هـ ، وكانت سنه [illegible] وثلاثين سنة ، وهي سن [illegible] والـ[illegible] . وكذلك سن [illegible] ، والرجال [illegible]

أقول [illegible] الحصول [illegible] في [illegible] المسكر [illegible]

[illegible] وعلى [illegible] وحد [illegible]

ولكنه لا [illegible] أن يكون [illegible] الأول [illegible] عصره ، و [illegible] وحده [illegible]

٣٥ — [illegible]

الرد على [illegible] أن [illegible] الذين [illegible] ، [illegible] ردوا عليهم [illegible] ، [illegible]

إذ [illegible] ، و [illegible] ، و [illegible]

وتم [illegible]

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ، وكان [illegible] ، [illegible] أن كان [illegible]

(٣) [illegible] ص ٢١ .

ولكن الفلسفة مركب لا بد من الشهرة، وهي ميدان

خاصة من العلماء، وقليل ما هم

أما العامة، جمهور الشعب، فلا يفهمونها ولا تهمهم

أما السلطان، فهو يريد [illegible]

[illegible] الغزالي [illegible] (1) عندما [illegible]

المستظهر بالله، [illegible]

[illegible] (2)

ولكن الغزالي [illegible]

الاسم، [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يرى الجمهور الإسلامي في ذلك الوقت، كما هو في كل زمان

ومكان، لا يحترم إلا المتصوف [illegible]، ومن هو

في زمرة الأولياء، والمقربين منه

يرى أن هؤلاء الأشخاص [illegible]

العامة، [illegible] من الخاصة. [illegible]

إياهم، تحبباً للعامة، وتزلفاً للشعب

يرى الغزالي ذلك كله، بل يراه [illegible] عندما يختلف

(1) [illegible] (2) [illegible]

إلى [illegible] ، فيرى أنه ما كان [illegible] إلا [illegible] العلم . وفقراء

الصوفية ، [illegible] عند [illegible] ، [illegible] ، وفقر [illegible]

من [illegible] ، [illegible] من [illegible] عن ذلك قال

[illegible] هؤلاء إذ [illegible] الشواغل ، [illegible] في

[illegible] وعرف [illegible] في الشريعة ، فكتب

الوجيز ، والوسيط ، و[illegible]

وكتب في الأصول ، وعلم الكلام ، ودرس في [illegible] .

و[illegible] و[illegible] ، و[illegible] و

وكان كل [illegible] كبير ، كان

هذا [illegible] هذا [illegible] ، وشهرة [illegible]

[illegible] يعرف [illegible] من هذا

٢٨ [illegible] [illegible] في [illegible] ، لا [illegible] في [illegible]

لله ، و[illegible] وهو [illegible] ،

و[illegible] في [illegible]

هذا [illegible] ، و[illegible]

[illegible] ، [illegible] ، [illegible]

[illegible] ، [illegible] ، [illegible] ساوره

عن [illegible] ، وما [illegible] ، [illegible]

الناس من [illegible] وهو [illegible] رحيم " فقالوا [illegible]

[illegible] ص ٣ [illegible]

ما ليس فى قلوبهم !

[illegible] ، [illegible] من [illegible] هذه الصراحة فى [illegible] الإسلام ، ومن علماء المسلمين . فأبنت للناس ما تنطوى عليه ضلوعك ، وما يختلج فى قلبك ، إن شراً وإن خيراً ، كأنك لم تكن تستحى [illegible] ، وكأنك [illegible] من أمرك شيئاً [illegible] [illegible] المؤمن [illegible] » كما قال ذلك صراحة فى المنقذ [1]

[illegible] هذا [illegible] خروجه من بغداد وقد كان [illegible] [illegible] . وأنا أومن [illegible] ، [illegible] كله [illegible] كان المقصود به [illegible] « هو طلب الجاه ، وذيوع الاسم ، وانتشار الصيت » .[2]

[illegible] فى العراق ، وعرف به [illegible] فى الأرض ، لم يكتب إلى الناس [illegible] هو [illegible] ، وإذا كان قد كتب فى الشريعة ، وفى الأصول [illegible] كتباً كثيرة تشبه ما كتب

[illegible] الكلام و[illegible] الفلسفة ، فأحيا الأولى على حساب الثانية [illegible] كما [illegible] ولكنه كان يحس ويرى شيئاً جديداً ، يرى ميداناً واسعاً

يرى ، ويعرف ، ويحس أن التصوف حينئذ أصبح [illegible] نظام خاص ، وقواعد محدودة ، وحدها القشيرى [illegible] ، وشرح

(١) المنقذ ص [illegible] (٢) المنقذ ص ٦٣

عن الصوفية في زمانه – القشيري – فأصبح جماعة لها وجود وسلطان، ولها حركة، وفيها حياة.

ووجد – وقت [illegible] [illegible] عشر [illegible] الصوفية، ويقوم عليهم، ويؤسس [illegible]، و[illegible] [illegible] الذين تكاثروا على الطريقة، [illegible] و[illegible]، و[illegible] كل المسلمين في ذات الوقت.

ووجد [illegible] الذين يحفظون [illegible] القرآن، ويعرفون الحديث، [illegible] في [illegible]، وفي [illegible]، وفي المعاملات، [illegible] في مذهب أهل السنة والأشاعرة، [illegible] [illegible]، هو المذهب الرسمي [illegible] وسلطانه، و[illegible] الشافعية [illegible] المدارس النظامية، التي [illegible]، و[illegible] [illegible]، و[illegible] في شهرها.

[illegible] في القرن الخامس الهجري، [illegible]، و[illegible]، و[illegible] كل هذا [illegible] وجود [illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible] والخوارج، و[illegible] [illegible] وانتشار [illegible] و[illegible] [illegible].

إذ [illegible] [illegible]، و[illegible] الذي [illegible] [illegible]، كما [illegible] [illegible] المتكلمون [illegible] الفلسفة بأسلوب علم الكلام كما [illegible].

إذ [illegible] مذهب [illegible] الأشعرية الرسمي [illegible] وهو [illegible] الظاهر – ومن [illegible] قواعد الصوفية،

وهو عبد [illegible]

[illegible] أصول [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ولكن أراد وهو في خلوة [illegible] يؤدي [illegible] رسم الصوفية .

(١) [illegible]

(٢) [illegible] (٣) المقدمة ص ٦٢

و[illegible] في الأرض، [illegible] ، و[illegible] الخالدة إحياء
علوم الدين

ثم [illegible] الفرق ، و[illegible] ، [illegible] ، و[illegible]
الأو[illegible] [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] ،
و[illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] ، [illegible]
[illegible] ، و[illegible]

و[illegible] لا يكون [illegible]
وقد كان [illegible] شرعي فهو فيه مدرس ومؤلف
وكان [illegible] [illegible] فهو [illegible] و[illegible]
وكان [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible]
[illegible] و[illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] ، حيث [illegible] [illegible] ،
و[illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] ، و[illegible] [illegible] لا يمكن
[illegible] ، ولا [illegible] ، و[illegible] [illegible] حركاته وسكناته
حركاته وسكناته ، في ظاهره وباطنه ، مقتبسة من نور
مشكاة النبوة (1)

ثم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، و[illegible] ، فهو [illegible]
[illegible] ، وله مشرب
[illegible] ، هو [illegible] ، ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الإسلام تدليس ، وهو قادر على [illegible] من [illegible] [illegible] المحرمات

(1) [illegible]

ولا [illegible] ولا [illegible]
ولا [illegible]

[illegible] على [illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] (٢).

[illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] كان [illegible]
[illegible] (٣)

و[illegible] كان [illegible]
و[illegible] كان [illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

(١) [illegible] (٢) [illegible] (٣) [illegible]

٥ – [illegible] الغزالي الصوفية ، كما هي الحق والواقع

انتهى الغزالي من بحثه عن الحق — الذى جهر [illegible] قام [illegible] [illegible] لأجل [illegible] [illegible] لم نجده لديهم

[illegible] ميدان الصوفية ،

[illegible] فيه كل [illegible] عن شيء ،

[illegible] على شيء [illegible]

[illegible] الحق الذى ينشده ، هو

في [illegible] ، وفي

[illegible]

[illegible] الحق ، وكل [illegible]

وكان [illegible] التي اضطرته إلى

الانخراط في سلك الصوفية [illegible]

١ [illegible] كانت [illegible] ، لا يمكن معرفتها إلا [illegible]

[illegible]

[illegible] لمعرفة [illegible]

الأشياء ، [illegible] ومثال

[illegible] الأقوال ، [illegible]

/ ٠لا يمكن الوصول إلى طريقتهم إلا بالذوق، والحال، وتبديل الصفات، فقد اضطر إلى الخلوة والاعتزال، والانقطاع بالكلية إلى الله، طلباً لذلك.

ثم آمنا بهذه الوسيلة وهي

تبديل الصفات، والانخراط في زمرة الصوفية، وملابسة أحوالهم، والعزلة عن الناس، والبعد عنهم.

وأيضاً آمنا بهذه الغاية وهي:

«الوصول إلى طريقة الصوفية»

ثم العلاقة بين هذا، وبين السبب الثاني، الذي عده أحد أسباب للخلوة، وهو:

٢ - أنه قد ظهر له أنه لا مطمع له في سعادة الآخرة إلا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، ورأس ذلك كله، قطع علاقة القلب عن الدنيا، والإعراض عن الجاه، والمال، والهرب(١)

أي إلى الخلوة والعزلة أيضاً.

فهل يريد الغزالي الوصول إلى طريقة الصوفية، كطريقة من طرق المعرفة واليقين

فيعتزل الناس، ويتجه إلى الله ليصبح صوفياً

أو يريد سعادة الآخرة، فيعتزل الناس والأهل، والمال، ويتجه إلى الله، ليصبح زاهداً

---

(١) المنقذ ص ٦٢

وهل [illegible] طرق الصوفية،
وسعادة الآخرة [illegible]

[illegible] في الواقع [illegible]
لا [illegible] كثيرون

[illegible] وهو [illegible]
[illegible]
الذي [illegible]

ولكنه [illegible] حتى
[illegible] وحتى [illegible]
[illegible] في سعادة الآخرة، [illegible]
في [illegible]

وهذا [illegible]
[illegible] الناس [illegible]
[illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] هذه الشروط
[illegible] في [illegible] غير [illegible]

(١) [illegible]

[illegible] وتحركه حب الحق، و[illegible] "(1)

أما [illegible] فهو [illegible] خصوصه، [illegible] من [illegible]

[illegible] على [illegible]، و[illegible]

أما الشواغل والعلائق فهو [illegible] لأنه [illegible]، و[illegible]

[illegible] العلوم الشرعية، و[illegible] من [illegible]،

و[illegible] فيه [illegible]

وزيادة على ذلك فهو [illegible] الحقيقة، [illegible]

[illegible]، و[illegible] في كتب [illegible] "(2)

ثم [illegible] العراقي [illegible] العلوم الشرعية، [illegible]،

أن الصوفية [illegible] لا [illegible] في [illegible]، ولا

[illegible] في [illegible] القرآن

ثم [illegible] ما ذكره العراقي [illegible]

[illegible] في كثير من [illegible]، وفي [illegible]

والذي حكى أنه [illegible] الصوفية [illegible] لو [illegible]

[illegible] أعطى من الكرامات [illegible] في الهواء، فلا [illegible]

[illegible] حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود،

وأداء الشريعة "

وبعض العراقي أيضاً

أن جميع العلوم التي [illegible] في [illegible] الآخرة،

---

(1) [illegible] ص ٦٣ (2) [illegible] ص ٦٣

[illegible] في صدق كلامه، و [illegible] مصرحه، [illegible]

الظروف [illegible]، و[illegible] الصدق والحق، و[illegible]

[illegible] من [illegible]، و[illegible] على وجوهه، [illegible]

[illegible] مع [illegible]، و [illegible] الصحيح

فمن ذلك [illegible] والوضع الذي لا ريب

فيه [illegible] الصواب

[illegible] كبير [illegible]،

[illegible] لا من [illegible] على جميع وجوهه، [illegible]

[illegible] والمرأة، والاعراض عن [illegible] على [illegible] والأهل،

و[illegible] لا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible] وكل [illegible]

من [illegible]

كما [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] عندك مال وجاه ، وعندك سلطان يحميك من [illegible]

[illegible] في الحصول [illegible]

سنوات كاملات »

(١) [illegible]

(٢) [illegible] ٦٤ .

هذا [illegible] الواعي ، و[illegible]

[illegible] كما تقول هو

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ودلك عنده [illegible] هو [illegible]

كله ، و[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] واحد كل يوم [illegible]

لتلاميذه و[illegible] (١)

[illegible]

---

(١) [illegible] ص ٦٤ .

راحة وهدوء، ولا يمكنه تركهما [illegible] خوف من ذلك

لأنه وهو في الغربة سيدرس، و[illegible] الوعظ

والإرشاد في كل مكان [illegible] سيوقعه [illegible] خصومه،

ويضيع على أنصاره عن طريق [illegible] كما هو [illegible] ذلك

ولهذا ستكون [illegible] شهرة [illegible]

٣ — أما عدم [illegible] المنصب [illegible] روحية

والعلمية [illegible] لا

لأنه [illegible] سيكون [illegible] شهرته، و[illegible]

[illegible] في [illegible]

الخليقة والشريعة [illegible]

أما أنه لن تتيسر له [illegible] فإنه لن

يجد المنصب خاليا، فصار لا [illegible]

وفعلا — كما قال الإتحاف أيضا — أناب عنه أخاه في [illegible]

٥٣ — [illegible]

فإذا صح ما قاله الإتحاف، فكيف [illegible] مع [illegible]

أن التدريس غير مهم، و[illegible] في طريق آخر

وكيف يجيز أن ما يراه [illegible] قود

أخاه بيده، فيورده مورد التهلكة، كما يعتقد الغزالي

ثم قد يجيب الغزالي بأحد جوابين

١ — إني وضعته بدلا مني [illegible] للناس [illegible] أعود إلى

محلي، بعد قضاء أربي، وهو الحج

مع أنه صرح أنه « عزم على ألا يعاود بغداد أبداً »(1)

[illegible] ووضعته بدلاً مني ، ليحفظ مكاني ، حتى عند رجوعي

أحده حيا

وعلى كلا الحالين - إذا كانت هذه الأنباء صحيحة - فهي تتعارض

مع تصريحه هنا من أن التدريس غير نافع وغير مهم

لأنه كيف يؤمن بهذا ، ثم يقود أخاه إليه

فأين إذن الحق والصدق

فهل كان يؤمن بأن تدريس العلوم الشرعية نافع ومهم ، وهو حينئذ يقول بلسانه ما ليس في قلبه [illegible] أو كان يؤمن بعكس ذلك حقا

نعم [illegible] تؤكد ذلك

أن تصريحه بأن التدريس غير نافع ، وغير مهم ، غير مطابق لما في نفسه ، وغير صادر من قلبه . ولهذا فهو يترك أخاه مكانه ، حفظا للمنصب ، أو [illegible] ليؤكد عودته ، أو تقديمه للناس بدلاً منه ، أو ذلك كله معا

بعد ذلك حدث الغزالي أنه بعد أن عزم على الهرب والفرار ، تظاهر بالخروج إلى مكة ، وهو يورّي في نفسه سفر الشام ، حذرا من أن يطلع الخليفة ، وأصحابه الكثيرون ، على خروجه [illegible] للمقام بأرض الشام

٥ - [illegible] [illegible] [illegible]

(1) [illegible] ص ١٠٥

ولهذا تلطف بلطائف الحيل، فخرج من بغداد، موهماً الناس أنه سيرجع إليها، بينما هو قد عزم على ألا يعاوده أبداً

فإذا كان قد أقلع عن الرياء، وعزم على التطهر والخلوة والاعتزال، فكيف يعلن للناس أنه ذاهب إلى مكة، لحج بيت الله الحرام؛ بينما هو يريد السفر إلى الشام، والإقامة بدمشق؟!

لماذا؟ وهو قريب من محبة الله، وقوي الإيمان بالله، حيث أصبح حسه، ومعتقده، يظهر غير ما يبطن، ويفترق من فرائسه، افتراقاً عن عمد واختيار؟

لماذا تحايل على الخروج من بغداد، خوفاً من الخليفة أن يمنعه، ومن الأصحاب أن يقفوا في طريقه؟

لماذا يخاف من خليفة المؤمنين أن ما أراده هو كله خير، وواجب أن يتجه إليه؟

لم يخف إيذاء الخليفة ومنعه، وهو الملم بشدة تحمل الرسل الإيذاء في سبيل الحق، ونشر الهدى؟

مستشهداً بقول الله

«ولقد كذبت رسل من قبلك، فصبروا على ما كذبوا، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا» وغير ذلك من الآيات[1]

بعد هذا لا يمكننا أن نقول — كما سبق في بداية حديثنا عنه في التدريس

(1) «المنقذ ص ٨٩»

إن الغزالي : إما أن يكون كلامه هنا غير مطابق للواقع ، فهو يتخيل ، وهو يظهر غير ما يبطن ، وهذا ما نشك فيه و نستبعده ، ولأن الوقائع المادية تدحضه

وإما أن يكون قوله إنه هرب من التدريس لأنه غير واقع ، وأن الله سهل على نفسه الإعراض عن الجاه و [illegible] فهذا كلية فإنه ، غير مطابق للواقع ، وهذا ما نراه و نعتقده

هذا ما كان من أثر الغزالي في نفس العراقي

[illegible]

أما أثر الذي حسبه من حبيبه العراقي ، فهو ذو نقص عميق في نفسه ، ما رآه هو [illegible] في عزلته ، فيحسب أن نفسه هي العراق ، وقد تناوله العراقي بالتجريح ، سواء تناوله فعلا ، أو اعتقد أنهم يتناولونه . لأنهم لا يجيزون أن يهرب صاحب المنصب الأعلى في الدين ، وهو كرسي المشيخة ، من هذا المستوى العالي ، إلى هذا المستوى الأقل

وهنا أيضاً يلعب العقل الباطن دوره

فيحدثنا الغزالي قائلا : « إن العراقيين ، حسبوا أن ما كنت فيه هو المنصب[1] الأعلى في الدين ، ولكن كان ذلك مبلغهم من العلم »[2]

أما هو أي الغزالي ، فيعلم أن هناك منصباً أعلى من هذا ، هو منصب

---

(١) « ورأوا أن ما [illegible] منصب » (٢) المنقذ ص ٦٥

قائد حركة كلها خير ورشد [1]

« رسول الله على ... الأمة لإحياء دينه » [2]

يقول العراقي عند ذلك

« هذا هو حديث ... العراق، أما حديث العامة

... عن العراق ... ذلك الخلاف بيني وبين

أولاده » [3]

« أما من ... أولاده فكان يشهد بإخلاصهم في التعلق

بي، والاكتساب مني، و... عنهم، وعن الاعتقاد في

قولهم » [3]

ولكن هل هذا صحيح

فهل هو معرض عن ...، وغير متثبت في قولهم، و...

أمرهم، و... ، و... إشراكهم!

أظن لكي تعرف مدى صحة هذا، ... قاله ... في

مقدمة ...

« ولا ... مدة ... ، ... خدم

... ، وقيم به ... الخدمة، ... من

... والزلفى »

« حتى خرجت الأوامر الشريفة ... بالإشارة

إلى الخادم تصنيف كتاب في الرد على ...

(١) ... ص ٨٩ (٢) ... ص ٨٩ (٣) ... ص ٦٦

« فرأيت الاقتران حتما، ومصرعة في الأرض حرما »

فصل كثرى في الرد عليه كلامه هذا

٥٧ — إن ما سبق هو رأي من ورث من أولاده، وقد أنكر [illegible] وأولاده عن كثب، [illegible] على العرب وعن أولاده، ويرى ما قدم فيقول

« هذا [illegible] سوي، وليس له سبب، لأنه عن [illegible] الإسلام، [illegible] »[1]

وهذا [illegible] العقل [illegible] [illegible]، فيحكي [illegible] يريد العراقي أن يشغر [illegible] بين الناس، [illegible] [illegible] جمع، ونوعي [illegible] العامة حيث يقول

« [illegible] لا أمر سوي [illegible]، ولا [illegible] فيه ولا [illegible]

[illegible] هو [illegible] على ثقة [illegible] [illegible]، ويقول للناس ما يريده الله، ولا يعمل إلا [illegible] الله

[illegible] هو [illegible] الناس [illegible] في الله، فهو [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] وحركته، [illegible] [illegible] [illegible]:

٥٨ — [illegible] [illegible] أن [illegible] على [illegible] الإعراض عن [illegible] وولد [illegible] »

(١) [illegible] ص [illegible]

أما [illegible] فقد فرق ما كان معه، ولكنه ادخر قدر الكفاف،

وقوت الأ[illegible]. [illegible] من [illegible] وقف على مصالح

المسلمين

فلا يوجد من [illegible] على [illegible] [1]

ولكن هل من [illegible] صوفي، هو [illegible]

[illegible] حتى [illegible]

[illegible] على هذا في [illegible]، شرح [illegible]

[illegible]، عند الكلام على [illegible] في الجزء الرابع، [illegible]

والمتوكل [illegible] فرق من توكل [illegible]

[illegible] على [illegible]، وعلى [illegible]

[illegible] على [illegible] متوكل في حقيقة

فمن كان لا [illegible] ذلك، [illegible]

[illegible] متوكل

ولذلك

[illegible] صوفي [illegible] إلى [illegible]

[illegible] لا [illegible] الصوفي،

[illegible] السوق [2]

[illegible] هو [illegible]

[illegible] على [illegible] الإعراض عن الأولاد [illegible] على [illegible]

(1) [illegible] (2) [illegible]

الإعراض عن ملك ، الذى يبقى عليهم . فلا يستقبلون الموت برزق وعيشة .

بعد هذا التدليل والاستشهاد . فهل قول العراقى

إن أمه تميل على قلبه الأعراض عن ... والولد صحيح ومطيع لوالديه

والعرض كما يبدو — أنه ... منه ذلك ،

ولكن ما غرض العراقى هذا الغرض ؟

ذلك لأنه لابد من هذا الغرض . حتى يقوم بالمراسيم الصوفية . ... ويؤدى الشروط المقررة ، فيحوز الامتحان ، ويصبح صوفيا ... على الأقل حتى يفهم عنه الناس ، والصوفيون . أنه سار فى الطريق حتى ... ، ونفذ الشروط فى خلوته .

بعد ذلك أخذ العراقى فى شرح العزلة والخلوة الصوفية الصحيحة قائلا

العراقى يشرح الخلوة والعزلة الصوفية الصحيحة .

" إن أول الشروط التى يجب أن يسير عليها البادىء فى هذا الطريق هى

أولا : تطهير القلب ، بكلمة لا إله إلا الله ، وهذا أول شروطها

ثانيا : ... نفسى ، بكلمة ... ، وهذا ...

الذى ... من الصلاة

ثالثا « الصوفية تسلكه في الله » وهذا آخرها(١)

ويقول في إحيائه(٢) شارحا هذه المرتبة وتلك الخلوة

« إن ذلك يكون بمقاطع علائق الدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل، والمال، والولد، والوطن، وعن العلم والولاية والجاه، بل يصير الشخص في حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه، ثم يخلو بنفسه في زاوية، مع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب، مجتمع الهم، ولا يشغل فكره بقراءة قرآن، أو بتأمل في تفسير، أو كتابة حديث، أو نحو ذلك، بل يجتهد ألا يخطر بباله شيء، سوى الله تعالى، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة، قائلا بلسانه: الله، الله، الله، على الدوام، مع حضور القلب، حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك لسانه، ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه، ثم يصبر عليه حتى يمحى من القلب صورة اللفظ، وحروفه وهيئته، ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه، حاضرا فيه لازما له، لا يفارقه »

٦ — هل منزلة الغزالي صوفية حقا؟

فهل بعد هذا الشرح للمرتبة الصوفية الحقة، في حكاية الغزالي في المنقذ، وفي الإحياء كما تقدم، كانت عزلة الغزالي إذاً مستجمعة لهذه الشرائط، وتلك الأوصاف؟

يترك الغزالي بغداد، ومعه [illegible] فيدخل الشام، ويقيم بها نحوا من سنتين، [illegible] كان به شغل إلا العزلة والرياضة

---

(١) « منقذ ص ٦٨ ». (٢) « ج ٣ ص ١٧ ».

ومجاهدة، تزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب[1]

ولكن هل اعتزل لأنه أحس هذا منه؟ وشعر ذلك روح من عنده؟

واعترف أن هذه العزلة ضرورية، كما كان حصله من علم الصوفية؟ كما يقول هو نفسه في المنقذ[2]

ثم نراه يصعد منارة دمشق طول النهار، ويغلق بابها على نفسه.

[illegible] ١٩١ – ص [illegible]
دمشق ومصر،
بيت المقدس

نراه يدخل صخرة بيت المقدس كل يوم، ويغلق بابها على نفسه أيضا[3].

ونراه بعد [illegible] حققت الوعد كما يقول الإتحاف

وتحدث [illegible] الصوفية، وكتب الإحياء

ونرى دافعه الحج، والاستمداد من بركات مكة والمدينة، تحركت فيه، فسافر إلى الحج[4]

ونرى الهمم، ودعوات الأطفال إلى الوطن تجذبه، فيعوده، حتى بعد هذا الحدث، وتركت الدعوة[5]

ونرى أن حوادث الزمان، ومهمات العيال، وضرورات المعيش، تغير فيه وجه المراد، وتشوش عليه صفو الخلوة[6]

ونرى أنه ما كان صفو الحال إلا في أوقات متفرقة[7].

(1) المنقذ ص ٦٦. (2) المنقذ ص ٦٦. (3) المنقذ ص ٦٦.
(4) المنقذ ص ٦٧. (5) المنقذ ص ٦٧. (6) المنقذ ص ٦٧.
(7) المنقذ ص ٦٧.

ونرى أنه مع ذلك كله، ما كان يقطع همه فيها بالخلوة،
ولهذا فلا يلبث إلا أن يعود إليها، ثم تدفعه العوائق عنها، ويسكنه
يعود إليها ثانية (1)

هذه حياته، وتلك عزلته، التي دامت عشر سنوات أو تزيد "

ثم تلك حياته عزلته المصرية، التي شرحها في حياته ومنقذه،
وهذه خلوته العملية، التي حكاها، وعرف بها في منقذه

ثم نسي أن رأيت الشروط التي يجب توافرها في خلوة
الصوفي، كما حدثنا بها العارف

وها أنت قد رأيت مدى تقيد الغزالي بهذه الشروط كما حدثنا
هو عنه

فهل كانت عزلة الغزالي الصوفية متفقة تمام الاتفاق مع حياته الصوفية،
فتصبح حياة حقيقية إذا؟ وهي عميقة ومستمرة، فتصبح حياته
صورية "

ثم رأيت سابقا أن عزلته عن ذويه لم يكن موجودا شبه
العزلة، إذ بقي معه قد اكتنف وجوده الحسن، وما يؤكل في
حقهم، فما جعلهم مستعدين لموت زوجة وعيشه "

وكذلك عزلته عن أولاده كان موجودا، حيث صحبهم
معه، وحيث كان يسهر على تنشئتهم

ورأيت أيضا أنه كان يكتب الإحياء وأنه كان يعقد

(1) « المنقذ » ص ٦٢

حقق الوعظ

وأنه كان يحط ... في حقيقة والمشوقة ... من

شروط الخلوة الصحيحة، كما سبق ... هو ... لا ...

... حتى عن ... في ... في ... والحديث،

والكتابة ونحو ذلك

و... أن الخلوة ... دمشق و... ... ، كان

صوفية حقه

وفي معنى ذلك أنه ... كثيرة في ...

... الله ... حتى الخلوة ، و... الخلوة ،

كما قال هو ، و... ... حتى في ...

أو ... الخلوة ... كل أو ... ،

فيه ... و... الطعام ، و... أولاد ...

و... في ... ... و... الصحابة ، و... الخوف

من السلطان

قولهما ، لأ... كما تقدم ... أولاد ، و...

... و... السلطان ... الخلوة و...

ومن ... وقد ... الحج ... ... الحج ...

و... في ...

و... ملاحظة ...

... ، وهو ... في ذلك

سبيلا (1)

فماذا يذكر آل محمد عليه السلام وغيره، مع أنه لم يمس

إبراهيم بحبه

فماذا يذكر الحج وهو في أواخر حركته، وعندما تحركت فيه

داعية الرجوع إلى بلده العراق، فحسب (2)

... أنه كما نعرف

حدثته الهمم، ودعوت الأصحاب إلى الوطن فعودوه

... وهو يريد العودة إلى الوطن، ولكنه خرج من بغداد،

تحت ستار الذهاب إلى مكة، فكيف يعود إليها وهو يحج بعد

... قصد الحج إلى مكة ويتجه نحو قبر الرسول، ولو

كان ذلك اضطرارا لا اختيارا

٦١ — ... العراق ... ابن ...

ومن صدق الصراحة أنه يحس العراق ... عنه،

وكأنهم يقولون له

أبنت المرأة والحبيبة، ... كانت ...

هذه الرغبات، في كل حين وحين، في حكمته ...

حتى عند رجوعه من الشام

فيقول فيه

لا ... آثرت ... عند رجوعي من الشام

(1) [illegible]

[illegible]

حرجاً على الخلوة ، وتصفية النفس بالذكر (1)

نعم !

الغرض أن أسمع ما كتبت ، وما أحسن ، وقد صممت على أن أومن به

ولكن خلوات الى جانب هذه الرغبات ، وهذه الأعمال لا يمكن أن تكون خلوة صحيحة صوفية ، مستوفية الشروط ، مكتملة الأركان التي كتبت عنها .

وعبارة دقيقة هي غير موجودة في الديوان ولا تدخل صاحبها في زمرة المقربين ، فضلاً عن أنه لا يمكن أن يكون في عداد المتصوفين

وكأني به يريد أن يؤكد أن هذا حين عمد [illegible] عودة إلى حوادث الزمان ، ومهمات العيش ، وضرورات المعاش ، كان يفرق وجه المراد ، ويشوش على صفو الخلوة (2)

نعم !

إن معنى هذا أن الغزالي يريد أن يقول إنه لم يخل خلوة صحيحة وعزلة صوفية صادقة !

يريد أن يقول إنه لم يخل ما كان يخلو به إلا في أوقات متفرقة !

وهل كان يقنع بهذه الخلوة ، ويعتبرها موصلته إلى الله فعلا

---

(1) المنقذ ص ٦٧ .　　(2) « « ص ٩٧ .

يقول :

« وكنت ما أقطع عنه ، إلا كانت تعاودني أحوال عنه ،

عدت إليه »

ومتى يقطع الغزالي الصحبة ... ولا يعود الصحبة

... هذا أحواله عند ...

وأخيرا وبعد كل هذه ... سؤال صريح ، وأحوال وفي ... وهو

هل صح للغزالي بعد ... حتى

صريح الغزالي

أنه في عزلته كان حريصا على أن ... ، وكان متعلقا

بالأولاد فصحبهم ، وكان ... ، وعقد حلقات الصوفية ،

وبالتحدث ... ، شرائط ... ،

متوجها كل ذلك ، كتابه ... الحق

وكان مؤديا فريضة الحج ، وزائرا قبر الرسول كما زار الخليل

عليه السلام ، وكان يحدث نفسه ، ودعوات أصحابه نحو الوطن ،

وكانت حوادث الزمان ، ومهمات العيال ، وضرورات المعاش

تقلق قلبه ، وتقلق حواسه

يخبر الغزالي أن كل هذا

كان يغير فيه وجه المراد ، ويشوش عليه صفو الخلوة

* * *

ثم بعد أن قدمت بين يديك كل هذا: أعتقد أنه من السهل الإجابة على السؤال السابق، ثم نفكر في الإجابة على سؤال جديد وهو:

هل عزلة كهذه يمكن أن نخرج فيها صوفيا؟

وهل هذه عزلة تتوفر فيها الشرائط التي تتطلبها الصوفيون، كما شرح ذلك الغزالي نفسه؟

نعم، قد يمكن أن نسمي عزلة وخلوة.

نعم، وقد يمكن أن نفترض أنها خلوة، وعزلة كذلك.

ولكن هل هذه العزلة العربية العجيبة، تنطبق تماما على العزلة الغزالية الصوفية، التي حكاها، وشرحها هو نفسه في إحيائه؟

ولكن هل صاحب هذه العزلة الصورية، وربيب تلك الخلوة الافتراضية، يمكن أن يعتبر صوفيا حقا، أو يجب أن يعتبر صوفيا صورية، وافتراضا فحسب؟!!

أعتقد أنه من السهل والواضح الإجابة على هذين السؤالين، بعد الذي قدمنا.

٥ – ماذا بعد الخلوة والعزلة

هل الانخراط في سلك الصوفية المزعومين ؟

أو الرجوع إلى التعليم المزعوم ؟

رجع العراقي من الشام، وحل طوس مسقط رأسه، مفضلا الخلوة والاعتزال، وفي آخر مدة عزلته التي دامت عشر سنوات أو تزيد، أحس شيئا جديدا، حدثنا به في المقدمة، قال :

لمس «أن قد عم الداء، ومرض الأطباء، وأشرف الخلق على الهلاك، وأحس فتور الخلق، وضعف يقينهم[1]».

ورأى أيضا «من خاض منهم في علم الفلسفة، أو تعلم في الباطنية، أو وسم بعلم من الناس، أو عرف شيئا من التصوف[2]».

ثم رأى العراقي

أن جميع هؤلاء يوردون شبها، ويتهدفون جزؤها، ويعرضون أسماءها دون أن يعرفوا حقائقها، تمويها عن نهج الدين، ومجانبة تعاليم الرسول الأمين.

ولمس أيضا «أن نفسه مبيتة بالعزيمة المقتدرة، بمحض الرأي

(١) «مقدمة ص ٨٨».

(٢) «مقدمة ص ٨٤ و ٨٥».

الحاصل ، والنظر غير المستقيم ، حتى أن فضح هؤلاء عنده أيسر من شربة ماء »(1)

فهو العالم بكل فن ، البارع في كل علم ، حيث فحص عن نحل الفلاسفة ، والباطنيين ، والمتكلمين ، والصوفية

ثم أخص خصائصه أن فضح هؤلاء « ما دام قد راعى ذلك متمكنا عليه ومحموما لديه »(2)

هذه هي الأسباب التي دفعت الغزالي للخروج من عزلته ، وها نحن سنتناولها بالنقد والتمحيص

أما أنه قد عم الداء وأشرف الخلق على الهلاك ؟!

٩٧ — دوافع الغزالي
إحساس الغزالي
بأسباب عزلته
نقد

فماذا ؟

هل حدثت حادثة قوية تشعر بالفرق بين حال العامة الآن ، وبين حالهم قبلا ؟!

هل فتور دينهم ، وضعف إيمانهم ، الذي يرجع إلى خوضهم في الفلسفة ، وتشيعهم لأوهامها ، وللتصوف وتعلقهم بخيالاته ، وللتعليم وتشدقهم بشبهاته ، وللأئمة ومعصوميه ، لم يكن موجودا قبلا ؟

هل حالهم كان سيئا كحالهم سابقا . عندما فضح الفلاسفة ، وخاصم التعليميين ، فبدد الأوهام والضلالات . ودرس في النظامية ، فأثبت رأي الشرع ، وقوى حجة الدين

---

(1) « منقذ ص ٨٧ » (2) « منقذ ص ٨٨ » .

هل نعجب لأن أبناءنا خالفونا، عندما تركهم مؤمنين بأن التدريس غير نافع وغير مهم، وأن العلوم التي يقوم بتدريسها غير مهمة وغير نافعة؟

[illegible] هو الحق، و[illegible] هو [illegible]، و[illegible] هو [illegible]، ومواد التعليم معدة على غير مواد التعليم [illegible] [illegible] محدودا، و[illegible] موضوع، لا يبعث [illegible] ولا يقدر [illegible] على [illegible]، فهي علوم شرعية، ومواد [illegible] من [illegible] والكلاميات، اللهم إلا بعض [illegible] الأسناد، وفضلا من حسن [illegible]

هذا [illegible] ولا [illegible]

ما – ثانيا – فقد مرضت الأطباء

ب – مرض الأطباء

[illegible] يريد أن يفهمنا أن أطباء العقول قد ضعفت،

وأطباء الأرواح قد مرضت

ولكن أليس هو نفسه واحدا من هؤلاء؟

فهل هو ضعيف ومريض؟

يجيب عن هذا السؤال قائلا إنه صعب [illegible] أربعة [illegible]،

والقدرة تعجز منه، وضعف هؤلاء الذين يشربون الشراب،

ويسقون [illegible] [illegible] من شربه ...

[illegible] أن نفهم [illegible] كثيرين،

وفي خطر، ومشرفون على الهلاك:

ن هناك وباء، قد عم الناس أجمعين

وهناك أيضا ... وكيف نداوي

المرض السليم

... الأمراض ... وهذا ... قوي وقادر

على أن ... وخفوق ...

... على ...

ومن ... المرضى

... والفلاسفة ... الصوفية

ومن هم ... قوي قادر ؟

هو ... وإمام المسلمين ...

ثم هذا هو ...

... على ... تبيح الناس ... ٦٨ —

حله، والمشتبه من الصلاة

والكنه ... معتزلا الناس ...

« ... على ... الحق ... »[1]

كيف هذا، مع أنه قوي وقادر ... فيصحح[2] ... الحجة

(١) ... ص ٨٨ (٢) ...

... لأن ... الدين ...

طبعاً — عنده أيسر من شربة ماء"[1]

٢ — ولأنه يشعر بأنه « لن يمكنه أن يستقل بكشف هذه النعمة ، ومصادمة هذه الطغمة ، والزمان زمان الفترة ، والدور دور الباطل[2] »

إذ هو يشعر بضعفه ، وبعدم قدرته على الاستقلال بمجابهة هؤلاء الضالين

إذ هو ليس بقادر على فضحهم ، وإذ هو غير قادر على مخاصمتهم ومحاججتهم

٣ — « ولأنه سيعادي أهل الزمان بأجمعهم ، إذا اشتغل بدعوة الخلق عن طريقهم إلى الحق ، ولن يمكنه أن يقاومهم ، فكيف يحاربهم »[3]

إذ هو يخاف الناس ، ويخاف مقاومتهم ، ويعمل على عدم معاداتهم ، لأنه يخشاهم ، ولا بد أن يسالمهم

وهنا يجب عليه أن يسكت على امتهان الدين ، ودوس حرمات الإسلام

نعم لأنه يريد أن يعيش ، ويعيش في سلام ، وأمان واطمئنان ، أما اقتداؤه بالمرسلين والأنبياء وبالآيات القرآنية التي رددها بعد أسطر وفي نفس الصفحة مثل

« ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا . .

---

(١) « نفس ص ٨٧ » (٢) « نفس ص ٨٨ » (٣) « نفس ص ٨٨ » .

وغير ذلك من الآيات »

فلا يهم ، وليسكت العراقي ، وليبق على عزلته !

يخلص العراقي بعد أن حدث ما قدمه إلى قوله

٦٩ مقدمات عكسه ينتج ما يريد الغزالي

« إني أرى أن ذلك لا يتم إلا بزمان مساعد ، وسلطان متدين قاهر[1] »

ثم : أن هذه النتيجة التي انتهى إليها ، هي مستكون مقدمة ، ليرسل على أثرها نتيجة أخرى ، فيقول

« ولكن ؛ قدر الله داعية سلطان الوقت من نفسه - لا بتحريك من خارج - فأمر أمر إلزام بالنهوض إلى نيسابور ، لتدارك هذه الفترة ، وبلغ الإلزام حدا كاد ينتهي - لو أصررت على الخلاف إلى حد الوحشة »[2]

٧٠ مقدمات الخاص بنص ما حق مرة أخرى

ولكن إذا حرص العراقي على أن يفهمنا أن ذلك ، كان بدافع من نفس السلطان ، لا بإشارة من خارج ؟

فهل سمع أن أحدا ممن يهمهم أمره ، أو ممن يخصونه بالنصح ، و يصدقونه القول من عناية الإمام ، أشار عليه بذلك بناء على النصح من العراقي ، فخطر أن ينفي هذا ؟

قد يكون !!

ولكن ماذا حرص نفسه على أن يفهمنا ، أن الإمام أمره أمر إلزام ، للدلالة أنه لو لم يقبل أمره ، لحصلت القطيعة بينهما ،

(١) المنقذ ص ٨٨ (٢) المنقذ ص ٨٨

لماذا إذن هذا؟

هل كانت [illegible] في [illegible]، مع أنه [illegible]

[illegible] موجود [illegible]

وأنه قد يكون

٧١ — [illegible]

ولكن [illegible] معروف،

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مقدسة!

٧٢ — [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

هذا ما يريد أن يفهمه به، لأنه يريد أن يقول له كلاما

بعد ذلك، ولأنه يريد أن يخرج من نفسه على أي آخر لحظة فلا له

« لا ينبغي أن تكون باعثة على ملامة المرء، الكسل

والاسترخاء، وحبس عن النفس والتراجع عن أذى الخلق

ثم سمع قول الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم. أحسب الناس أن يتركوا أن

يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله

الذين صدقوا، وليعلمن الكاذبين

ثم سمع قوله سبحانه وهو [illegible]

ولقد كذبت رسل من قبلك، فصبروا على ما كذبوا، وأوذوا

حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدل لكلمات الله، ولقد جاءك من نبأ

المرسلين

ثم سمع قول الله جل ثناؤه

بسم الله الرحمن الرحيم. يس. والقرآن الحكيم. إلى قوله

إنك لمن المرسلين (1)

ما هذا

ثم [illegible]

ثم [illegible] آيات [illegible] عن السكوت عن الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، خوفا من [illegible] الناس، [illegible]

(1) [illegible] ص ٨٨ و ٨٩

فى معاشه !!

ألم يعرف أنه لا ينبغى أن يكون الباعث على عزلته وسكونه، الراحة والكسل؟

نعم .. الغزالى يعرف كل ذلك، وهو واع لكل هذا، عارف لما يقول، متيقظ لما يكتب.

ولكنه اعتزل وابتعد، فأراد أن شرع العزلة والخلوة، فيأتيك بالأدلة، ويجمع لك البراهين، ويحشد لك كل ما يستطيع، تدليلا على صحة ما فعل.

ولكن السلطان يأمره بعدم العزلة، وبالنهوض إلى نيسابور، فأراد أن يشرع العمل، والتدريس والنضال، فيأتيك بالأدلة، ويجمع لك البراهين، ويحشد لديك كل ما يستطيع، تدليلا على صحة ما سيفعل أيضا !!

نعم .. يريد أن يجعلك تؤمن أن ما فعله كله حق، وأن الحق هو كل ما سيفعل !!

فالحق لديه حق، لا لأنه حق فى ذاته، ولكن لأنه هو ما يريد!

٧٣ — شاهد فى التفكير بين خروج الغزالى من بغداد وتركه التدريس، وبين دعوته لنيسابور وعودته إلى التدريس

وأيضا .. توجد ملاحظة هامة ودقيقة على أسلوب الغزالى الفكرى عندما خرج من بغداد، وترك التدريس، وعلى أسلوبه عندما رجع إلى نيسابور، وعاد إلى التدريس.

فإننا لو نظرنا فى الماضى القريب، ففحصنا أسلوب الغزالى

الفكري والنفسي، بل والشخصي، لوجدناه واحداً، عندما ترك بغداد، ونفض يده من التدريس. وعندما عاد إلى نيسابور، مقبلا على الدرس والتعليم.

فهناك، في بغداد، بدأ يستعرض أحواله وأعماله، فيجد أن نفسه على شفا جرف هار، فيغرق في التفكير للخروج من هذه الشكوك، ويظل مدة من الزمان، يقدم رجلا ويؤخر أخرى، وأخيرا يصح العزم «فلجأ إلى الله الذي سهل عليه الخروج من بغداد»

فيترك التدريس متجها إلى العزلة والفرار!

وهنا في العزلة، يبدأ يستعرض نفسه، وخلوته واعتزاله، فيجد أن نفسه أيضا على شفا جرف هار، فيغرق في التفكير مدة من الزمان، ليخرج من هذه الحيرة، وتلك الشكوك، فيقدم رجلا نحو الخروج من هذه العزلة، ويؤخر أخرى، فلا يتركهما حتى يأمره الإمام، وأخيراً «يلجأ إلى الله الذي يسر عليه الحركة إلى نيسابور» وترك الخلوة، والعودة إلى التدريس والنضال.

ثم، هناك في بغداد، نرى أن أسلوبه التفكيري، وحيرته النفسية، وما يدور بخلده من معان وحجج، وما يختلج في ضميره من شكوك وهواجس، بل ما ينطق به من أقوال، وما يقوم به من أعمال.

نرى ذلك؛ هو نفس الأسلوب الذي قام به هو في خلوته، ولو ضممنا هذا إلى ما سبق من مقدمات، لحتم علينا أن نعتقد أن الغزالي

كان في كل [illegible] صدره [illegible] من عقبة واحدة، و[illegible] واحد،
ومصفق واحد، و[illegible] واحدة، و[illegible] نحو هدف [illegible]

[illegible] ومرجع ذات فقط،
[illegible]،

ثم [illegible] حركة خروج من [illegible]
و[illegible] ومعدوده [illegible]،
[illegible]

وهذا [illegible] حركتين،
[illegible]

[illegible] واحد [illegible]،
ولا في [illegible] ولا في شكله واسمه
و[illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible]

و[illegible] كان ذات [illegible] من وجه،
و[illegible] من [illegible]
وهذه [illegible] الحركة الأولى، هو [illegible] الحركة الثانية،
و[illegible]
ما [illegible] مرحلة

وسكن العربي يشعر [illegible] فهو [illegible] على أن [illegible]

هذا الرجوع ، وتلك العودة ، لا [illegible]

هذا مع ملاحظة أن هذا [illegible]

[illegible]

[illegible] والخلاف

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والعودة إلى التدريس حدثنا أنه .

أ — شاور فى ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات ، فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة ، والخروج من الزاوية[1]

ب — وأخبرته كثرة متواترة من الصالحين ، أنها رأت فى المنام ، ما يشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد[2]

ح — وأن الله قدر تلك الحركة على رأس هذه المائة ، حيث قد وعد الله بإحياء دينه ، وذلك بإرسال مصلح على رأس كل مائة[3]

فاستحكم لديه الرجاء ، وغلب عليه حسن الظن ، بسبب هذه الشهادات[4]

٧٥ الغزالى يظهر ما استقر صورة رائعة

وأخيراً ، هكذا ثبت عند الغزالى ، كما حدثنا هو بذلك أصبح :

قائد حركة كلها خير ورشد[5]

مصلح القرن[6]

مبعوث الله لإحياء دينه[7]

هذه معان ألصقها بنفسه ، وخلعها على شخصه ، ولو جاءته على لسان الصالحين ، الذين رأوا فى منامهم ما يدل على ذلك

لا نريد أن نعرض لأن الغزالى لا يفهم قيمة الأحلام فى الإسلام ، بل الذى لا شك فيه أن الغزالى عرف حق المعرفة ، أن الإسلام دين المنطق السليم ، والعقل الحر ، لا دين الرؤيا والأحلام .

---

(١) « منقذ ص ٨٩ » . (٢) « منقذ ص ٨٩ » . (٣) « منقذ ص ٨٩ » .

(٤) « منقذ ص ٩٠ » . (٥) « منقذ ص ٨٩ » . (٦) « منقذ ص ٨٩ » .

(٧) « منقذ ص ٨٩ »

والمنامت والأوهام، أو على الأقل كل ما يجب عليه أن يعرف هذا !

وأخيرا وفى ذى القعدة سنة ٤٨٨ هـ، تتحرك القافلة إلى الأمام.

٧٦ — باسم الله مجراها ومرساها

فباسم الله مجراها ومرساها.

باسم الله مجراها من طوس، وباسم الله مرساها إلى نيسابور

باسم الله مجراها من الخلوة والاعتزال، وباسم الله مرساها إلى التدريس والنضال

• • •

الحق والتاريخ

إلى هنا ينتهى ما أمكن أن نعرفه من تاريخه حياته، ومن رسائل اعترافاته، كما أراده هو.

وإلى هنا ينتهى نقدنا، ونوجهه تلك الاعترافات، كما يريد المنطق، والحق، والتاريخ، مؤمنين بصدق كل كلمة كتبناها، مخلصين فى إرسال كل فكرة سجلناها، متحملين كل المسئولية أمام الله، وأمام التاريخ، والإمام الغزالى نفسه؛ عن كل نظرية أصدرناها، معتقدين:

« أن الله أرانا الحق حقا، ورزقنا اتباعه، وأرانا الباطل باطلا، ورزقنا اجتنابه[1] ».

---

(١) « منقذ ص ٩١ ».



الباب السابع

اعتذاران

أ — الاعتذار الأول ، وهو اعتذار غير مقبول

١ — [illegible]

٢ — [illegible]

٣ — [illegible]

٤ — [illegible]

ب — الاعتذار الثاني ، وهو اعتذار مقبول

٥ — [illegible]

٦ — [illegible]

٧ — [illegible]

٨ — [illegible]

٩ — [illegible]

١٠ — [illegible]

١١ — [illegible]

١٢ — [illegible]

١٣ — [illegible]

١٤ — [illegible]

١٥ — [illegible]

١٦ — [illegible] بعد أن يبق هذا الاعتبار الغزالي
[illegible]

١٧ — [illegible]

(أ) المنقذ ليس بتاريخ حقيقي للغزالي

(ب) اعترافات الغزالي في المنقذ هي مثالية

(ج) تاريخ الغزالي في المنقذ هو قصة،
وأبو حامد بطلها

(د) على المستشرقين وتلاميذهم أن يراجعوا
ما كتبوا، فقد ينقضوا ما أبرموا

خصائص هذه الرسالة أو الجديد في أسلوب ذلك البحث

١٨ — [illegible]

١٩ — [illegible] وبعدها عن الإطالة

٢٠ — [illegible]

٢١ — [illegible]

٢٢ — [illegible]

١ – الاعتذار الأول ، وهو اعتذار غير مقبول

لا ريب في أنه توجد اعترافات للغزالي في المنقذ – كما رأيت – هي غير مطابقة للواقع ، ولعل الغزالي حينما اعترف بها كان متأكدا أن اعترافه هذا غير صحيح

ولكن هل يمكن أن نجد له في أحد اعتذاراته ، وهو تركه التدريس ، ورجوعه إليه ، فيقال :

إن الغزالي عندما اعترف بأن هدفه من التدريس ، كسب الجاه والشهرة

وعندما اعترف بأن رغبته عند هربه من بغداد : هي خلوته بالشام ، واعتزاله الأهل ، والمال ، والوطن

أقول عندما اعترف بذلك ، كانت في أوائل هذه النية ، وتلك النزعة ، عن صدق في حسه ، وإخلاص في ضميره ، وبدافع من وحي شعوره ، وبإلهام من وازع نفسه وكان فعلا يريد أن يسير السيرة الصوفية الحقة ، من الزهد في الدنيا ، وترك كل العلائق تركا تاما ، والانخلاع من مشاغل هذه الحياة ، انخلاعا كاملا أكيدا

أقول عندما اعترف بذلك كان يريد فعلا كل ذلك ، ولكن

١ – [illegible]

١

من المرائي لا شيء، من حيث هي نفس، والنفس ذات قدرة وسمو،
وبين ضلوعه قلب، يحن إلى الولد، والأهل، والخل، والأصحاب،
والوطن، فهل يمكنه أن يخلع من بشريته، كما يمكنه أن يعرض
عن الدنيا كلية، ويتجه إلى نفسه، ويعنى بها

فرجع إلى ما كان، وعاد إلى ما عزم على تركه رغماً عنه، سيما
أنه كما صرح، كان يتمنى أن يترك بغداد، وكسب الجاه
والشهرة، ما بينه من الدرس ... فهي الدعوة إلى العمل الذي
به يرث الجنة والنعيم، هذه منه أولاً، وثانياً ...، ولكل
امرئ ما نوى

نعم يمكن أن يتم هذا، ويعتذر عنه بذلك
ولكن هل هذا العذر مقبول

سـري:

هل عرف الغزالي أنه يمكنه أن يصل إلى غايته المشروطة لدى
زاده، وأحس أنه عجز عن أن يسعى إلى حث الحالة التي انتهى،
والتي عمل لأجلها؟

هل شعر الغزالي بذلك العجز وحسه وعرفه؟

وهل يشعر أنه عجز عن الوصول إلى ما أراد، بل تأكد أنه
قد وصل إلى ما طلب، وانتهى إلى ما سعى، مع ثقته بذلك،
وتحققه من هذا؟

نعم لا نزاع في أنه أمكن أن يكون هذا، وذلك

٢ — إخفاقه في تحرره عن الوصول إلى ما يريده وبعد ذلك

وإذا كانت الخطوة الأولى هي أن لا نستبعد أنه أخفق في تحرره عن الوصول إلى ما يريد [illegible] عنه، فهذا لم يصرح لنا بهذا، سيما أنه قد عود [illegible] ذلك قبلا، عندما ترك التدريس ببغداد، معلنا ضلالة [illegible]، وانعدام طريقه.

[illegible] وهو [illegible] الاعتراف بقصوره، [illegible] ومن مصادر [illegible] والإيمان.

[illegible] ولا يمكن [illegible]، ولا [illegible] على [illegible] في تلك المعوقات، [illegible] في [illegible].

[illegible] هذا [illegible] هذا المعنى، [illegible] ذلك [illegible].

٣ — [illegible] عن وصوله إلى ما يريد، وبعد [illegible]

ثم وقد [illegible]، وهي [illegible] بذلك المعنى، ولا بهذا [illegible]، بل [illegible] أنه وصل إلى ما يريد، وتأكد أنه انتهى إلى ما [illegible] لأن [illegible] تلك الحياة بالدرس والتحصيل.

[illegible] تصريحات [illegible] و[illegible]، [illegible] حصل ذلك [illegible]، وصلاح هذا الرأي.

١ — إذ [illegible] عندما صدق [illegible]، وتصح عزيمته على الخروج من بغداد، والهرب من الرياء، يقع في الرياء عن عمد وقصد، حينما

يتظاهر بالخروج إلى الحج، وهو يبطن في نفسه السفر إلى الشام؟

ولو كان مقتنعاً بأن التدريس رسالة وتحصيل، ما كان يمكنه أن
يترك الرسالة تقع في الركود والتحصيل يجمد واحتضار

٢ — ويراه عندما عزم على ترك الجامعة، وحبيبه التدريس،
يخاف على نفسه ومقصده أن يألف نعمة الحياة الجديدة، حياة الهدوء
والراحة، فلا تنصرف نفسه إلى معاودة الدرس والتعليم

٣ — ويراه عندما يترك التدريس، لأنه حسين وعمه باق
وغيرهم، ينوب عنه أحد

٤ — ويراه عندما يعترض عليه أنه متردد، أنه كيف يترك
علي منصب في مدينة يتوسطها، مثل ذلك منصب من العلم، فهناك
منصب أعلى وأعلى، هناك منصب واقتراب، هناك مسجد
القرآن، ومعهد الدائرة، ومبعوث الله

٥ — ويراه: عندما نقول بشيء عن حبيبه، الإعراض عن الدنيا،
والولد، والوطن، وعدم الاشتغال بأي شيء، حتى قراءة القرآن،
صرح في نص الصفحة، بأنه أحب المال فسقاه، والأولاد
فصحبهم، والوطن فخرج به، والتأليف فكتب إحياءه، والدرس
فقد حققت الوعظ والإرشاد

٦ — ويراه بعد هذا العلم أن كل هذه العلائق كانت تعيق
فيه وجه المريد، وتشوش عليه صفو الخلوة، كما تقول هو نفسه
أي أنه لا يمكنه أن يصل إلى ما يريده فعلاً، وصولاً كاملاً أكيداً

٧ — ويرى — كما يصرح — أنه يعمل كل هذا من هرب، وخلوة، واعتزال، ليسير على نهج الصوفية، كما كان خصمه تماما من عمومهم، كما قال هو نفسه. لكنه أحس ذلك بدافع من نفسه.

٨ — ويراه يعرف أنه ترخص في إغضاب الله، فلم يأمر بالمعروف، ولم ينه عن المنكر.

٩ — ويراه يعرف أنه دافع عن الإسلام، مع أنه صرح بأن ذلك مفترض عليه، ومحتوم لديه، حين لا يصيب سواه؛ لأنه يريد أن يعيش في هدوء، وسلام واطمئنان، بعيدا عن معاداة الناس ومقتهم.

١٠ — ويراه يعرف أيضا، أنه قام إلى الأمر بالمعروف، والمنافحة عن الإسلام، وإلى التدريس بنيسابور، لأن السلطان أمره أمرا لازما وحتم.

١١ — وأخيرا يرى الغزالي كاتبا، وهو يفهم ما كتب، ويعرف، وهو يعرف بدقائق عمره، ويقول، وهو متيقظ لكلامه، ويكتب بالعربية، ويعرف جيدا أن اللفظ مستقيم المعنى، ولا يمكن أن يقال إن اللفظ قد خانه، أو أن التعبير قد جره إلى ما لا يريد، أو أنه يحمّل ألفاظه ما لا تحتمل وتطيق.

لكل هذا، فنحن نعتقد بناء على هذه النقاط
أن الغزالي يعرف أنه لم يصل إلى ما يريد.
وأنه يؤمن بأن كل ما فعله كان غير موصل له.

ويؤمن أنه لم يحسن هذا الوصول

ويؤمن أنه غير صادق في هذه الاعترافات المرحبة المخترعة.

كما يعتقد حين أنه احتضر ... مستقبله متم فيه

وأنه أراد الدفاع عن قضية، أركانها مزورة مدعاة، فعرض صلابة هذه الأركان، ثم عرض صحة هذه القضية، ومن ثم أعلن للناس هذا العرض، وطلب منهم تصديقه، والإيمان به

بعد هذا أرى مضطراً أن أقول

إن هذه الاعترافات

١ – ليست باعترافات رجل أراد هدفاً، ولكنه أحس العجز عن الوصول إليه، فأعلن للناس هذا العجز، وأظهر ما كتمه من عقيدته

٢ – وليست اعترافات رجل أراد هدفاً، واعتقد أنه وصل إليه، بينما لم يصل فعلا

٣ – ولكنها اعترافات رجل أراد هدفاً، ولم يصل إليه، وعرف أنه لم يصل إليه فعلا

ومع هذا فقد أراد أن يخدع الناس على التصديق أنه وصل، فلفق أدلة، وأبرز الاعترافات من هنا، ومن هناك، متنافرة متضاربة، متناقضة متعارضة، لا تنتج نتيجة، ولا تنهض حجة، ولا تصحح قضية

ب — الاعتذار الثانى : وهو اعتذار مقبول

ولكن هل لا يمكن بالبحث والتنقيب، والفحص والتأويل، أن نعثر على عذر نعتذر به للغزالى ؟

٥ — الغزالى حجة الإسلام، ورجل الدين لدى المسلمين

فالغزالى حجة الإسلام، وإمام المسلمين، ومؤلف الشريعة، وكاتب الإحياء، وعمدة الأصول، وعميد المتكلمين، وهادم الفلسفة، ومسفه [illegible]، وزعيم المتصوفين.

والغزالى: رجل الشريعة والحقيقة، رجل الظاهر والباطن، هو بين العامة محترم، وبين الخاصة مبجل، آثاره فى كل منزل، وعقيدته وأوراده فى كل بيت، يلهج بها لسان كل مسلم، فهو مقدس من مسلمى الكرة الأرضية بلا منازع.

٦ — الغزالى فيلسوف الإسلام لدى المستشرقين

هذا فى العالم الإسلامى، أما فى العالم الأوربى، أو بعبارة أدق، عالم المستشرقين، فهو فيلسوف الإسلام الوحيد، وهو رجل الفكر الحر فى ظلمات العصور الوسطى، وهو صاحب الحركة الدينية [illegible]، وهو [illegible] فى الإسلام، بعد محمد عبده [illegible]، وبعد البخارى والأشعرى، كما قال رونان [illegible] على ما أذكر.

ومن الغريب أن هذا الكتاب: كتاب الغزالى « المنقذ من الضلال، والموصل إلى ذى العزة والجلال » الذى أرسل فيه

اعترافاته، والذي به أرخ حياته، والذي فيه كشف للناس عن دخائل نفسه، هذا الكتاب هو الذي رفعه إلى مصاف كثير من الفلاسفة الغربيين، مثل سان جوستين، وسان توما، وباسكال، وديكارت، حينما أذاعوا مذكراتهم واعترافاتهم، متضمنة تاريخ حياتهم، سافرين عن صدورهم عن نفس الإنسانية، مرسلة على طبيعتها، لا يخجلهم رياء، ولا دهان، ولا ستر، ولا نفاق، أو تعصب.

٧ — [illegible] الغزالي [illegible]

والغزالي أيضاً هو الذي كتب هذا الكتاب، والذي ارتفع على أكتاف دراسته، كثير من الباحثين، والمصنفين من القرون الوسطى إلى الآن، وكلهم محترمون، مصححون آراءه، مكبرون أفكاره.

وقد كان هذا الذي قد وجه إليه النقد وجه أبداً: لكتابه المنقذ، وما يحوي من اعترافات وآراء، لأن المستشرقين، والباحثين من المسلمين، ما تصوروا أن يخرج مثل هذا الكتاب من تاريخ رجل في سن الخمسين، كسنه حين ذاك. وبرغم ذلك اعترافه يحوي ما يشين وينقص، فتنزل به إلى الحضيض، كما يحوي ما يرفع ويسمو، فتصعد به إلى أعلى الدرجات.

وعلى كلا الحالين فهو اعتراف. والاعتراف دائماً وأبداً من دلائل القوة، وعلامة الحرية الفكرية، والإيمان العميق.

٨ — الغزالي أستاذ الفلاسفة الدينيين الأوربيين في العصور الوسطى

والغزالي أيضاً هو الذي تتلمذ عليه فحول الفلاسفة الدينيين، الأوربيين في العصور الوسطى، مثل سان توما وأشباهه،

فأخذوا آراءه حججا ، دعموا بها دعائم الدين المسيحي كدين ، أمام

هجمات الفلاسفة ، ونظريات المتفلسفين .

وإذا كان الغزالي ، وهو علم الإسلام الخفاق سيوضح منهج

اعتقادات غير صادقة ، وآراء غير مطابقة للواقع ، وهو حين

يعترف بنفسه ويتأكد ، أنه يقول ما لا يطابق الواقع ، وقد يحدث

عن نفسه في أفكاره حين نسكناه من آراء ، ويمة في ... كان يجب

أن يكون ، على أنه هو مثل الأعلى ، لذى يجب أن نخضعه ...

إذا كان الغزالي وهو ... ، ولنس للمسلمين ... ، ... ل

إلى هذا الد... ، ... في ... بعد ذلك

وهيا البحث عن عذر نعتذر به للغزالي

وهيا المعصر الفكر ، ورهف الحس ، وندفق المصر ، مرة

بل وألف مرة ، علنا نعثر على ما يقبله من عثراته ، ونرفعه من كبواته ،

وندفع عنه لبعض وديث المرض ، ولو كان عذرا لا يرضى الحق

الخالص ، ولا يطمئن المنطق السليم .

ولكنه على الأقل عذر يرضى كبرياءنا ، ويدمل جرحنا ، ويبقى

على عصر ... ، وقد يكون هو الحق والصواب

... هيا بنا

ومن آراء الغزالي ونظرياته ، نستمد العون والتوفيق

١١ — الغزالي عن الكذب [illegible]

يقول الغزالي في الإحياء، تحت عنوان: «بيان ما رخص فيه من الكذب» (١)

«اعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه، بل لما فيه من الضرر على المخاطب، أو على غيره. فإن أقل درجاته، أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه، فيكون جاهلاً ... ورب جهل فيه منفعة ومصلحة، فالكذب المحصل لذلك الجهل، يكون مأذوناً فيه، وربما كان واجباً.

قال ميمون بن مهران: «الكذب في بعض المواطن، خير من الصدق»

« يقول الغزالي بعد :

« فنحن نقول

الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود، يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً، فالكذب فيه حرام

وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق، فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحاً، وواجب إن كان المقصود واجباً »

ويدل الغزالي، على أن الكذب يجوز فيه الاستثناء، ولا يكون حراماً بقوله:

« والذي يدل على الاستثناء، ما روي عن أم كلثوم

---

(١) ص ١١٥ ج ٣ من إحياء [illegible] ١٩٣٣ [illegible] القاهرة.

ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب ، إلا في ثلاث

الرجل يقول القول يريد به الإصلاح

والرجل يقول في الحرب

والرجل يحدث امرأته ، والمرأة تحدث زوجها .

يقول الغزالي يعقب

« فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء ، وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره

وكما يتسامح في الصبيان ، فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد ، أو وعيد ، وتخويف كاذب ، كان ذلك مباحا .

نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ، ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ، ويحاسب عليه الإنسان ، ويطالب بتصحيح قصده فيه ، ثم يعفى عنه ، لأنه إنما قصد به الإصلاح ، وكل من أتى بكذبة ، فقد وقع في خطر الاجتهاد ، ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله : هل هو أهم في الشرع من الصدق ، أم لا

ثم إن الباب عسير الاستدراك إلا لمن تقدمه . وهذا غامض جدا ، والحزم تركه ، إلا أن يصير واجبا ، بحيث لا يجوز تركه ، كما لو أدى إلى سفك دم ، أو ارتكاب معصية كيف كان »

* * *

١٢ — الصلة بين [illegible] وبين [illegible]

إلى هنا انتهى كلام الغزالي

فهل هناك من صلة بين ما ذكره الغزالي من [illegible] الكتب المقصود تصحيح كالإصلاح ، أو [illegible] ، وما عدا ذلك [illegible] في [illegible] وبين اعترافات الغزالي في المنقذ

[illegible] قد رأيت أن الغزالي السابق من [illegible] في سبيل الإصلاح

وقد رأيت أيضاً أن اعترافات الغزالي ، هي تصحيح [illegible] [illegible] طريقه ، وتصوير لصوفيته لدى اعتقاده ، و[illegible] لكل ما عنده من الطرق ، و[illegible] ، قد [illegible] أحقيته ، وأسس لما في حكمه [illegible]

بعد هذا لا أشك أن [illegible] الغزالي

أنه حين أراد أن يشرح [illegible] من الناس ، وعنده [illegible] يثبت طرق صوفيته ، الذي رأى أنه هو طريق الحق ، وسبيل [illegible] ، وأنه هو [illegible] ، واستقى بعض [illegible] ثم [illegible] ، وأضاف لهذه الفصول ، بعض الحقائق [illegible] ، وخلط بها بعض الشكوك ، و[illegible] الهواجس ، وقد نزغت حتى [illegible]

وهي أشبه ما تكون « بالرتوش » والزواق ، التي تضيفها ريشة المصور على الصورة التي نقلها عن الطبيعة ، فيجمع فيها بين الحقيقة والخيال ، ويقرن فيها الواقع بالمثال

فعل العراقي كل هذا ليحبك القصة، ويشيع فيها الحياة،
لتقوى على النفس، فتتحرك إذا قرئت، وتحملك على التسير على
ضوئها، وتنهج النهج الذي رسمه، وتخطو الخطوات التي أمامها،
وبدلا من أن يعطيك قصة مخترعة من أساسها، فصولها وهمية،
وحوادثها لا توجد أصلا إلا في عالم الخيال، كقصة حي بن يقظان
مثلا، أعطاك قصة هو بطلها، وصاحب حوادثها

١٢ — الغاية تبرر الوسيلة، مادام غير [illegible]، ومادام المقصود [illegible]

نعم وإذا كان قد كذب في هذه القصة، فما كذب على أحد،
وإذا كان قد قال غير الحق فما ضر به أحدا، لأن الكذب حرفة
ما يمنعه من تزوير وتمويه من نفع، وكما قال العراقي نفسه «هو
حرام فيما فيه من الضرر على الشخص أو على غيره»

أما هنا وفي هذه الاعترافات فهو يكذب ملصقا الكذب
بنفسه لا بالناس

وبهذه الكذبة لم يضر أحدا، ولم يوقع أحدا في شر أو
أخذ بيده في سبيل التهلكة، أو يحدث به أي ضلال

بل يستنير الناس بها في الرشد والإصلاح، أو على الأقل
هو يكذب ليدفع عن نفسه، ويصحح موقفه، فيكون مثلا
يحتذى، ونموذجا يقتفى

فهي على كل حال قصة مخترعة، قصة كما قلت أسندها لنفسه،
وفيها بعض الحقائق الواقعية، وبعض الحقائق المثالية

وهدفه من ذلك: الإرشاد والتعليم، وغرضه من هذا

١٤ — سبب هذه [illegible] الاعتراف

ولكن ما قيمة هذا الاعتراف؟

ولأي سبب سيقت هذه [illegible]؟

إن هذا الذي أقوله فيه، لا أدافع به عن الغزالي، ولا أعتذر به عنه، وقد عمل هو به، كما قد عمل به بعض الناس.

ونحن نعلم أنه قد لا يعلم كثير من المفكرين الأحرار، والفلاسفة الأحرار الأصلاء، الذين لا يخشون في الحق لومة لائم، ولدى بريد الغزالي أن يحرجه في مسلكه، ومن يريد كثير من خبثاء المسلمين والمستشرقين، وضعه في مصافهم.

وإذا كنت قد جهدت نفسي في نقد هذه الاعترافات، وحسبي ونزعت بها إلى الصحة، وكذبت المنكر، وعصرت الذهن، حتى ثبت لي أنها اعترافات لا حقيقة لها، وأن تاريخ الغزالي الفكري والعملي كما حكاه هو نفسه في المنقذ من الضلال غير مطابق للواقع.

إذا كنت قد فعلت كل هذا، فما سبب هذه الاعترافات إذا؟

إن الذي اعتذرت بذلك للغزالي، ودفعت به عنه هذه الاعترافات هذا الحرج، حتى لا يعارض الغزالي مع نفسه، وحتى لا ينزل من عرشه الذي بناه على مدى القرون والأجيال، وحتى لا توجه إليه سهام النقد والتجريح، وحتى لا يقال.

إنها أقل اعترافات: هي غير صحيحة أصلا، وشيء لم يحدثنا تاريخه، وهو غير مطابق للواقع تماما.

لأنه فى الواقع : ما قال له شرحاً ، وما حكى إليه اعترافات وإنما قال قصصاً ألبسها ثوب الحقيقة ، وحكى اعترافات أسدل عليها لباس الواقع .

وإذاً ، الغزالى على هذا النحو لا عتبار من كراماته ، ومكانته من الثقة به ، والاطمئنان إلى أقواله

١٥ — وهل بقى بعد هذا الاعتبار لعدالته ؟

[illegible] بعد [illegible] يبقى على الغزالى مفكراً محقق الإسلام ، وظل [illegible]

ولكن الذى لا شك فيه ، أنه مؤلف ، وحرج واعتذر فقد ثبت :

أن هذه الاعترافات [illegible] اعترافات الغزالى [illegible] غير صحيحة فى جملتها

وأن هذا التاريخ [illegible] تاريخ الغزالى الذى قصه فى المنقذ من الضلال ، والموصل إلى ذى العزة والجلال ، غير مطابق للواقع فى مجموعه

وأن الكتاب : — كتاب المنقذ — لن يصبح بعد اليوم ، مصدراً «Fonte» من مصادر تاريخ الغزالى الفكرى ، ولا منبعاً نستمد منه حقائق تطوره العقلى ، والعلمى ، والنفسى ، وأنا عندما نؤرخ له ؛ يجب أن نبحث عن مصدر آخر ، نستقى منه كل ما نريد

١٦ — وما قيمة المنقذ إذاً ، بعد أن بقى هذا الاعتبار للغزالى كرامته والثقة به ؟

وما قيمة المنقذ إذاً ؛ بعد هذا ؟

ثم إن المنقذ يصبح بعد هذا الإسفار ، وذلك الإيضاح ، ولا

يحوى من اعترافات تناها الغزالى، و رسمها ليصحح عن قلبه للواقع.
يصبح المنقذ حينه لا تفصيلا، شعاعا من الأشعة التي توضح لنا
الغزالى و شخصيته، وضياء يهدينا إلى الفكرة التي يجب أن نكونها
عن الغزالى وعقليته
كيف جاهد وجالد ؟
أسبابه ووسائله
أهدافه وغاياته ؟
وهل الغاية تبرر الوسيلة ؟
أو الوسيلة و الغاية حرة لا تحجز ؟
وهل ... وهل ...

7 — أثر هذا البحث

إذاً فما هو أثر هذا البحث ؟
من بعد هذا كله، يمكننا أن نجمل أثر هذا البحث، و أهداف
تلك المحاولة فيما يأتى :

ا — المنقذ ليس بتاريخ حقيقى للغزالى

إن المنقذ من الضلال، والموصل إلى ذى العزة والجلال »
وما فيه، ليس بتاريخ حقيقى لتدرج الغزالى الفكرى، ولتطوره
العقلى والنفسى، ولن يعتبر بعد اليوم مصدرا لذلك

ب — اعترافات الغزالى فى المنقذ هى مثالية

وأن الاعترافات التى سجلها بين صفحات المنقذ، ليست

باعترافات صادقة صريحة ، مصادقة للواقع ، وإن هي اعترافات مثالية ، كان يتمنى الغزالي أن تكون حياته على شاكلتها

ح — تاريخ الغزالي في المنقذ هو قصة ، وأبو حامد بطلها

ولهذا فقد تكون قصة الغزالي ، التي قصها في المنقذ عن تطوره العقلي والنفسي ، حكاية المقصود منها الإرشاد والإنقاذ ، ونشر أسلوب فكري توجيهي ، يرى الغزالي أنه منقذ للناس من الضلال ، وموصلهم إلى ذي العزة والجلال

أما بطل هذه القصة فهو الغزالي نفسه

أما حقائقها ، ففيها الواقعي الذي حصل ، وفيها المثالي الذي كان يتمنى الغزالي أن يحصل

د — على المستشرقين وغيرهم أن يراجعوا ما كتبوا ، فقد يصححوا ما أبرموا

ولهذا يجب على المستشرقين من الأوربيين ، والمحدثين من المسلمين ، الذين اعتمدوا على المنقذ من الضلال ، في تاريخ الغزالي ، أن يراجعوا ما كتبوا ، فقد يتنصلوا مما أبرموا ، ويصححوا ما عقدوا

أمثال

مكدونالد D. B. Macdonald ، وآسين بلاسيوس[1]

(١) وغيرهما من المستشرقين ... الذين ... في كتبه التي كتبها عنه بالغة الأسبانية.

N. Asin Palacios ، كارادفو – Carra de Vaux ، جولد

تسيهر Gold Ziher ، برانتل – Prantl ، نيكلسون –

Nicholson ، براون – Brown ، ماكس هورتن – M. Horten

دي بور – T. J. de Boer ، أوبرمان – Obermann ، شمولدر

Schmölder ، باربييه دي مينار – B. de Meynard ، نالينو –

Nallino ، وبروكلمان ، وماسينيون ، وغيرهم

هؤلاء كانوا [illegible] كانوا [illegible] ، ففي كتاباتهم ،

وردت كتبهم أن يسموا هذا [illegible]

٦ – خصائص هذه الرسالة، أو تجديد في أسلوب ذلك البحث

أول شيء يلفت النظر في هذه الرسالة، أنها اتخذت الشكل الرسمي، في مقدمات ونتائج.

١٨ – [illegible]

وكذلك اتخذت الشكل الدراسي، فهي ذات صبغة شرحية، وأمثلة أوردت حسب [illegible]

وقد اتخذت الرسالة هذين [illegible] حتى لا [illegible] وقت العالم المتخصص، وحتى [illegible] الشديد في مباهر العلم. [illegible] ، فهي [illegible] ، ومن بحوث الجامعة [illegible]

[illegible] كثيرة [illegible] العلم و[illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] شديد.

١٩ – [illegible]

وكذلك كانت الرسالة [illegible] من الاستشهادات في [illegible] ، [illegible] عن بحوث تاريخية [illegible] ، التي أولى [illegible] ، وصفحات تاريخ.

[illegible] من الحروب الخاصة، والدقيقة [illegible] من [illegible] الإنسانية، [illegible] آلاف السنين.

وإنما الذي يمكن أن نقوله بكل جرأة ويقين ، أن جميع أفكارها مبتكرة (Orgenale) وجميع ما صيغ من نحوه ، لم يسبق إلى التصويب إليه أحد ، مع كثرة الرواد ، ووفرة الرماد

أما الميزة الرائعة والأخيرة والهامة ، فهي الجرأة والقوة ، نعم الجرأة في مذهبه ، وفي [illegible]

أما قوة مذهبه ، وجرأة أفكاره ، فلا شيء في ذلك ما دامت مقدمات صحيحة ، ونتائج [illegible] من هذه مقدمات صحيحة ، وما دامت [illegible] ، [illegible] بين [illegible] ، [illegible]

[illegible] وقد كان في الإمكان أن تكون هذه [illegible] حقا ، وهذا هو [illegible] كان في [illegible] أعلى [illegible]

[illegible]

[illegible]

وهذا [illegible] أن تكون من أبواب التي [illegible]

[illegible] فلا تصدق [illegible] ، [illegible] فلا [illegible]

[illegible]

وقد ستها — لي أسدل عنها من السنين ، وكر القرون ، قوة ، ومنعة ، وصلادة ؟

هذه القوة وتلك المنعة وهاته الصلادة ، لا تمكن أن توجه إليها سهام النقد والتشكيك ، وتسلط عليها أضواء التحليل والتفنيد ، [illegible] ، [illegible] ، فتنقص من أسسها في [illegible] [1]

ولهذا وجب أن تكون [illegible] ، [illegible] ، متكافئة [illegible] كلة مع المنقود ؛ هذا إن لم [illegible]

وذلك أشبه ما يكون [illegible] [illegible] والذي « [illegible] » [illegible]

لا الصلد المتماسك

فهذه الكتلة : لا يمكن هدمها إلا [illegible] من « [illegible] » ونصله من الفولاذ . و[illegible] [illegible]

ذلك الصخر

[illegible]

[illegible] في [illegible]

و[illegible] الحقيقة و[illegible]

[illegible]

---

(1) [illegible]

تصويب

[illegible]

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	١	[illegible]	[illegible]
٣٢	٦	[illegible]	[illegible]
٦٨	٧	[illegible]	[illegible]
٨١	٤	[illegible]	[illegible]
١٣٧	٣	[illegible]	[illegible]





